ق مذ/ تق
م 020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أدرار
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

في تخصص:

المكان وتجلياته في القصيدة الأندلسية

ابن خفاجة نموذجاً

من إعداد الطالبة:
* بوصاحي فاطمة.

تحت إشراف الأستاذ:
* كالي مسعود.

2004 م 2003

ت/ق 119

بسم الله الرحمان الرحيم

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . آل عمران: آية: 190

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت 17، وإلى السماء كيف رفعت 18، وإلى الجبال كيف نصبت 19، وإلى الأرض كيف سطحت 20

سورة الغاشية الآيات: 17-18-19-20

الإهـــــــــــــداء

أهـــدي ثمـرة جهـــدي هذه .. إلـــى قنـــاديل عمـــري ...

❖ أمـــــــي و أبـــــي – رحمهـــما الله و أسكنهـــما فسيـــح جنـــانه .

❖ إخـــوتي الأعزة: المبروك، عبد الحي، عبد الله ، حفظهم الله ورعاهم .

❖ عـــائلتي الكريمـــة : بوصلاحـــي و لعريفـــــي .

❖ صديقـــاتي : نجيـــة ، خضـــرة، والمخلطـــة، خليف فاطنة .

❖ كـــل زميـــلاتي و زمـــلا ء الـــدرب الجـــامعي .

الشكر

أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد.

وأخص بالذكر، أستاذي الفاضل، {} كمالي مسعود {}

والذي لم يبخل علينا بمكتبته والمعلومة، كما أشكر كل عمال الحرس الجامعي بأدرار، وأتوجه بشكري الخاص أيضا الزميل وأخي العزيز... عبد السلام... والبار دائما، على مجهوداته معي.

والشكر الأول والأخير لله جل شأنه على نعمه وآلائه.

:- المقـــــــدمـــــة -:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و الصلاة والسلام على أفصح خلق الله أجمعين سيدنا محمد و على آله وصحبه إلى يوم الدين وبعد.

فمما لا شك فيه، أن الأدب هو الحياة، يعكس مشاهدها وصورها بدقة، و يبعث فيها روح تحركها وتحييها لا بل و يجعلها تبدو أجمل من الحياة نفسها، و الشعر هو الآخر قد مثل الحياة أحسن تمثيل و عكس صورها ، كيف لا و هي من بواعثه"فالشعر لا يفنى إلا إذا فنيت بواعثه، و ما بواعثه إلا محاسن الطبيعة و مخاوفها، و خوالج النفس وأمانيها"على حد تعبير العقاد.

و من بين الظواهر الشعرية التي عكست الحياة، ظاهرة المكان و التي سنتناولها بالبحث تحت عنوان: **المكان وتجلياته في القصيدة الأندلسية -ابن خفاجة نموذجا-**. فالقصيدة الأندلسية قد تشكلت خلال ثمانية قرون، وتطورت عبرها حيث أنها في أطوارها، الأولى كانت تابعة للقصيدة في المشرق ، و بعد هذا أخذت في التميّز دون أن تتخلى عن أصولها المشرقية، و قد كان للمكان كبير الدور في ذلك.

و قد اخترنا "ابن خفاجة" نموذجا لما يتميز به هذا الشاعر فهو جنّان الأندلس و يمثل أروع مرحلة وأحسنها في شعر الطبيعة،الذي توسع فيه الأندلسيين.

و نحن سندرس المكان الأندلسي، باعتبار القصيدة الأندلسية هي من النتوءات الزاهرة في الشعر العربي، و قد اخترنا المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة هذا الموضوع .

و قمنا بتقسيم بحثنا هذا،إلى مدخل و فصلين، ففي المدخل تناولنا المكان بالتعريف و جذوره في الشعر العربي القديم، و في الفصل الأول قسمناه قسمين قسم عرضنا فيه البيئة الأندلسية،وقسم تناولنا فيه تجلي المكان في القصيدة الأندلسية،و في الفصل الثاني تناولنا النشأة الأدبية لابن خفاجة، ثم تجليات المكان عنده .

و قد كانت هناك عدة دراسات تتناول المكان نذكر منها- باديس فوغالي - المكان و دلالاته في الشعر العربي القديم المعلقات ، نموذجا ،ودلالة المدنية في الخطاب الشعري المعاصر لقادة عقاق ، المدنية في الشعر العربي المعاصر -لإبراهيم رماني.

و في الأخير تجدر الإشارة إلى الصعوبات والعراقيل التي واجهت البحث و أثرت عليه نذكر من بينها نقص المصادر و المراجع.

المدخل

بداية ، إن علاقة الإنسان بالمكان ليست وليدة عصر دون آخر ، بل هي أصيلة وممتدة عبر الزمن، فقد خلق الله عز وجل الكون، الذي يشمل الأرض و السماء ،حيث يقول في كتابه العزيز "وَهوَ الذِي خَلقَ السَمواتِ وَ الأَرضِ فِي سِتَةِ أيَامٍ وَ كَانَ عَرشُهُ عَلَى المَاءِ " 1

و يخبرنا المفسرون للآية عن العرش ، أنه تعالى، عندما خلق السموات و الأرض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش ، و هو البحر المسجور2 .

ثم خلق آدم، بإرساله لملك الموت لإحضار قبضة من طين الأرض المختلف الألوان، ومنه اختلفت ألوان البشر ، وقد سمي آدم بهذا الاسم لأنه أخذ من أديم الأرض.

من هذا ، يتضح لنا العلاقة الوطيدة بين الأرض و الإنسان أنها علاقة عضوية صلة الأمومة، فهو خلق منها ، و يعود إليها "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ" ، و بعد إن ارتكب آدم خطيئته انزله الله إلى الأرض إلى اليوم الآخر ، وجاء بعده ابنيه .. قابيل و هابيل .. لتقترف بهما أول جريمة قتل على وجه الأرض ، فيقتل هابيل أخاه قابيل ... ثم يشير الله سبحانه وتعالى بغراب قتل أخاه ثم دفنه ، حتى يدفن هابيل أخاه قابيل .

فالأرض لها معاني عدة بالنسبة للإنسان، فهي الأم و هي السجن، و هي الأصل، و إليها العودة، و فيها المستقر.

و فوق الأرض رفع الله عز وجل السماء، و التي زينت بمصابيح أي الكواكب والثوابت، و قد خلقت هذه المصابيح لثلاث خصال:زينة الحياة الدنيا و رجوما للشياطين و علامة يهتدى بها،"وَ لَقَدْ زَيَنَا السَمَاءَ الدُنيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَيَاطِينِ وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَعِيرِ"3 و يقول أيضا " وَأنزَلَ مِنَ السَمَاءِ مَاءَا فَأخرَجَ بِهِ مِنَ الثَمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ"4 فهذه الآية الكريمة تشير إلى المعنى الخيري للسماء ، فهي مصدر الخير والرزق و من المعروف منذ القدم أن الإنسان أينما وجد الماء استقر، و معظم الحضارات قد قامت على الماء وتواجده بذلك المكان، فالعربي الجاهلي كان يرتحل من مكان لآخر طلبا للماء فالماء هو الحياة، وهو مقدس لأن الله عز وجل كان عرشه على الماء.

و بعد أن تكونت المجتمعات لعب المكان دورا هاما في تكوين حياة البشر من شتى النواحي، فاذا أحضرنا إنسانا يعيش في البادية وآخر يعيش في الحاضرة فأكيد سنجد اختلافا كبيرا بينهما وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في تاريخه في فصل أثر اختلاف أحوال العمران في أبدان البشر وأخلاقهم ، حيث يقول:" فانا نجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثير الزرع والضرع والأدم والفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم و الخشونة في أجسامهم... إن أهل الأمصار و إن كانوا مكثرين متلهم من

الأدم ومخصبين في العيش،إلا أن استعمالهم إياها ابعد العلاج بالطبخ و التلطيف بها يخلطون معها، فيذهب غلظها ويرقّ...حالها فلذلك تجد أجسام أهل الأمصار الطف من أجسام أهل البادية المخشنين في العيش "5. والإنسان يدرك المكان حسيا عكس الزمن الذي يدرك تجريديا ، فهو يبدأ بجسمه ذلك المكان الحاوي للقوة النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية أو لنقول بعبارة أخرى "المكمن "، ثم يتعداه بعدها إلى أقرب المكان إليه و هو الحيز الذي يحتويه كالثياب ثم إلى الغرفة ثم غيرها من الأمكنة،6. و هكذا و بعد هذا المفهوم الحضاري الجدري للمكان و علاقته بالإنسان ، ماذا عن المفاهيم الأخرى؟ من الناحية المعجمية نجد معظم المعاجم تشير إلى أن مفهوم المكان لموضع (وهو مفعل من الكون جمع أمكنة وأماكن وأمكن ... و يقال هذا مكان هذا أي بدله ، و كان من العلم والعقل بمكان، أي رتبة و منزلة)7 فالمكان إذا مشتق من الكون ، و الكون هو العالم و الوجود، وهو عام مطلق، أما المكان فهو جزئي ، و نقطة من الكون .

و من الناحية الدينية ، في القرآن الكريم، وردت هذه المادة 27 مرة 8.، وترددت معانيها بين الدلالة على الموضع المحل(وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) 9 .أي اعتزلتهم و تنحت عنهم ،وذهبت إلى شرق المسجد المقدس.(وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) 10. أي أرشده الله تعالى إلى الموضع الذي يبني فيه البيت الحرام .

الحال و تغيـــره : (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ).11.أي قلب عليهم الحال من الشدة إلى الرخاء، ليختبرهم فيه وليشكروا. (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ).12.أي أن المنافقين هم شر حال بما كانوا يخفونه من كفر، ويبدونه من إسلام .

فكما نلاحظ أن هذه المعاني القرآنية تحمل المعنى المعجمي السابق وتثبته.

و من الناحية الفلسفية نجد أن الفيلسوف "كانط Kant".13. يذهب إلى أن المكان نوع من الإحساس المتعال ،أي شكل قبلي مغروز في طبيعة الذهن ، و هو امتثال ضروري قبلي يقوم أساسا بكل العيانات الخارجية، و هو ليس مدركا منطقيا بل هو عيان محض و هو مكان واحد و لا أجزاء .14.

فهذا المفهوم الكانطي يخرج إلى المعنى العام أي الكون والوجود، بسماءه وأرضه و فضاءه وبسيطته ، فها هنا عودة إلى اصل الخلق والوجود.

و هو عند علماء الهندسة يتصف بكونه له ثلاثة أبعاد، أي انه لا يلتقي في نقطة واحدة من المكان إلا ثلاث خطوط عمودية وأجزاءه مطابقة بعضها لبعض بحيث يمكن إنشاء اشكال متشابهة فيه على جميع المقاييس .15.

و قد فرق "هود فينغ " بين المكان النفسي و المكان المثالي ، فالنفسي هو الذي ندركه بحواسنا، و هو نسبي لا ينفصل عن الجسم المتمكن، على حين أن المكان المثالي هو الذي ندركه بعقولنا و هو مكان رياضي مجرد ومطلق، و هو وحده متجانس و متصل .16. و قريب من هذا قول " ماخ Mach" .17. أن المكان قسمان: هندسي،

وفيزيولوجي مقصور على ما في الإدراك الفعلي، و المشتمل على ما في المدركات الحسية من التباين الناشئ عن كونه ذا جهات مختلفة فهناك مكان لمسي وآخر بصري،و غيره عضلي .18.

و يعد كانط حدث تطور هام في نظرية المكان ، والذي أحدثته نظريته النسبية.19. التي قال بها أنشطاين .20. فوفقا لهذه النظرية عدّ المكان والزمان متصلين و لا يمكن الفصل بينهما، و بذلك يعتبر الزمان والمكان وسطا ذو أربعة أبعاد يرمز إليه بأربع متغيرات، وهي الطول والعرض والعمق والزمن،21.
والزمان والمكان يتشكلان بالحركة والسكون.22. فالزمان تابع للحركة إذ أنها تعطي شعورا وإحساسا به، كما أنها تقوم بتحديده، في الوقت نفسه لا يمكن تقدير هذه الحركة إلا بنسبتها إلى الزمن ،كما أن هذه الحركة تتطلب مكانا تندرج فيه ، و نحن إذا أردنا تتبع الزمان ، فيجب أن نترجمه في المكان،لأن أوقات اليوم والشهر والسنة ما هي إلا متغيرات زمنية عن أوضاع مكانية تصور حركة الأرض حول نفسها و حول الشمس ، كما أننا إذا أردنا أن نتصور الأحداث التي يتميز بها الإنسان يمكن أن نتصورها و كأنها تقع على خط مستقيم له سياق زمني،و إن أردنا أن نتصور أن المكان مجموعة من النقط الموجودة على هذا الخط المستقيم، فإننا نجد هذا المكان هو الذي يحدث فيه الشيء المتمكن.23.

و من الناحية الاجتماعية يعرف المكان بالبيئة،وهي (مجموع العوامل المكانية والاجتماعية التي تؤثر في حياة الإنسان و عاطفته وفكره وموقفه).24.
وقد عني الأدباء المحدثون اللذين نظروا إلى الأعمال الأدبية من وجهة نظر اجتماعية بالبيئة،وجعلوها من مقومات العمل الأدبي الناجح إلى جانب الجنس والعصر ومن بينهم "أوجست كونت"وهيبوليت تين "ودوركايم" فهيبوليت تين.25. قد اعتبر البيئة من العوامل المؤثرة في الإبداع الأدبي، مع الجنس والعصر، وهي التي تحدد عبقرية المؤلف حيث يقول:(أن البيئة الأخلاقية ومعها البيئة المادية تؤثران في كل فرد و تضغطان عليه تأثيرا وضغطا مستمرين)26. و المكان عالق بالقيم الاجتماعية أيما تعلق، وهذا ما نلاحظه في بعض القيم الاجتماعية مثل (السافل) (الوضيع) (الشريف) (العالي) (المنيع) (الصغير)(الكبير).

أما من الناحية الفنية، فالمكان الشعري ليس مجرد أبعاد هندسية: بل هو يتجاوزها إلى كونه نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني،أو الجهد الذهني المجرد، فكما يقول :"كلوريدج" (أن التفكير العميق لا يبلغه إلا ذووا إحساس عميق).27. فالجهد الذهني المجرد يحيل إلى الإحساس العميق: و المكان هو تلك المساحة التي يؤطرها الإحساس والشعور

الإنساني، باعتباره لون حقيقة الذات ومنبعها في تكوين الفرد ذاتيا واجتماعيا،ومن هنا يخرج المكان من نطاقه الموضوعي إلى نطاقه الذاتي، حيث يغدو المكان ذاتيا(يدخل مجال الوهم والخيال والحلم).28. ليكون كمعادل موضوعي .29. للشاعر يصب فيه أفكاره و مواقفه ورؤاه و مشاعره ، و المكان لا يتشكل حضوره في النص الأدبي إلا عن طريق اللغة ؛ هذه الأخيرة التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة ، إذا لها بعد فيزيقي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية كما أن لكل لغة نظاما من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني ، و المكان في صورته الأدبية لا يعتمد على اللغة فقط ، و إنما إضافة إليها يعتمد الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة و بهذا يتجاوز الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع، لكنه على الرغم من هذا يظل واقعا محتملا حيث أن جزئياته تكون حقيقة، ولكنها تدخل في سياق حلمي يتخذ أشكالا لا حصر لها يصل إليها الخيال اللغوي فيما يمكن أن يسمى جماليات اللغة أو جماليات الخيال .30.

***المكان في الشعر العربي القديم(نماذج من مختلف العصور):**

المكان ذلك الهاجس الوجودي الذي وقف أمامه الشاعر مد هوشا حائرا، فهو يشكل نقطة صميمية عالقة بنفس الشاعر أيما تعلق، خاصة وان الشاعر العربي في الجاهلية قد وعى الزمن وعيا جعله يرهبه فيجعل أحد الشعراء كتميم ابن مقبل .31. يقول:

مَا أَطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أَنَّ الفَتَى حَجَرٌ ** تَنبُو الحَوَادِثُ عَنْهُ وَهُوَ مَلْمُومُ.32.

فهو يشعر و يحس بالزمن وصروفه ، و يتمنى لو كان حجرا حتى يتجنب ذلك الشعور الرهيب ، و الزمن لا يمكن بأي حال من الأحوال فصله عن المكان ، فهو محتوى فيه المكان ، و المكان محتوى فيه ، فالزمان "يرحب بالمساعدة التصويرية التي يمكن أن يقدمها له المكان ، فمرور الزمن ، يمكن أن يعرف بشكل ملموس ، من خلال التغييرات الفيزيائية في الأماكن ".33. فهذا المتصل قد شكل العديد من القصائد حيث تجلى من خلال الأشعار المنظومة حول الطبيعة .34. ، و قد كان المكان الطبيعة للشاعر الجاهلي يتمثل في الصحراء بشساعتها، التي تشعر الجاهلي بالحرية في كل شيء ، و في مقابل ذلك هي مكان مجدب ، يحتاج إلى كدّ حتى يعطي ويخصب و قد كان الماء من أسباب خصب الحياة فيها و جدبها ، فالجاهلي كان يرحل من وقت لآخر لكي يعيش هنيئا و قد عبر الشعراء عن هذا المقدس منهم امرئ القيس .35. حيث يقول :

أَعِنِّي عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِيضُ ** يُضِيءُ حَبِيًّا فِي شَمَارِيخَ بِيضِ
وَيَهْدَأُ تَارَاتٍ سَنَاهُ وَتَارَةً ** يَنُوءُ كَتَعْتَابِ الكَبِيرِ المُهِيضِ
وَتَخْرُجُ مِنْهُ لاَمِعَاتٌ كَأَنَّهَا ** أَكُفُّ تَلُقَّى القَوْزَ عِنْدَ المَقِيضِ
بِلاَدٌ عَرِيضَاتٌ وَأَرْضٌ لَرِيضَةٌ ** مَدَافِعُ غَيْثٍ فِي فَضَاءٍ عَرِيضِ36

فها هنا نجد الشاعر يلتقط لنا صورة فوتوغرافية للأرض المعشبة التي سقط المطر عليها فأخصبها ، وذلك من خلال تتبعه لمراحل نزول المطر منذ البرق، فيجعل الطبيعة كحبيبة يصف جمالها وهذا من خلال طلبه للإعانة من صحبه في البيت الأول ، و عادة ما يطلب الشعراء الإعانة عندما يريدون وصف الحبيبة، و في موضع آخر نجد الشاعر نفسه يفرغ على المكان أحزانه وهمومه، فيجعل الليل معادلا موضوعيا لأحزانه حتى يغدو المكان مصبوغا باللون الأسود المتمثل في الليل،الذي يتمنى الشاعر تغيره إلى اللون الأبيض المتمثل في النهار فيقول:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ** عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتَ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ** وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلِ ** بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ** بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ.37.

فهذه الأبيات يصور فيها الشاعر آلام نفسه التي أسهدته وجعلت ليله طويل لا يريد الانجلاء ،حتى أن المكان غدا ساكنا قارا مقيتا فنجوم الليل مشدودة بالجبل، فالزمان المكاني ها هنا ساهم في إزكاء نار الهمّ وألا لم في نفسه يطلب من هذا الليل الانجلاء بالصبح ، فالصبح زمن الفرح والأمان و الحركية، عكس الليل زمن الوحشة والسكون و هذا شاعر آخر وليكن أعشى .38. بكر يتغنى بجمال روضة معشبة خضراء خاصة وقت مغيب الشمس فيقول:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ** خَضْرَاءَ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ ** وَلا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِنْ دَنَى الأَصَلُ.39.

و في مجال آخر نجد شاعرا كالشنفرى.40. يتحدث عن الحيوانات في الطبيعة و يقرنها بنفسه، كأنه بهذا يطرد شبح الغربة و البعد عن المجتمع ، فيقرن نفسه بذئب و كأنه شخص مثله حيث يقول :

وَأَغْدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا ** أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ
غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا ** يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعْسِلُ41

ثم يسترسل في الحديث عن الذئب و الذئاب و ما جرى بينهم، فهو يستأنس بترقب هذا الوحش فيتخذه بديلا عن الإنسان الذي غدا في نظره وحشا، بل ويجعل الصحراء بشساعتها منأى له عن الأذى كما قال في لاميته :-

وَ فِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى **وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى امْرِئٍ** سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهْوَ يَعْقِلُ.42

هذا وهناك ظاهرة مكانية أخرى لافتة للانتباه ..إنها ظاهرة الوقوف على الأطلال و الدمن.

- (الطـلل.43 مكان وزمـان ، مكان يحتوي على الزمان مكثفا، وزمان ممثل في تثبيتات مكانية).44

و الشاعر الجاهلي، كأي إنسان ، هو اجتماعي بطبعه فضلا عن كونه و جودي و حضوري ، فهو لا يمر على الأشياء مرور الكرام غير آبـه..فالطلل هو صورة مستثيرة لذهن الشاعر ، فكرا و تذكرا، إنه يمثل معلما حضاريا لتاريخ قد مضى وتاريخ يمكن أن يكون...إن هذا الطلل،"هو لحظة تنويرية في الزمن الوجودي للشاعر"45 فهو يضرم في نفسه مشاعر الحزن والأسـى ، حزن على الأحبة الذين كانوا معه ثم رحلوا ، وحزنا على مصيره الذي سيؤول إلى الرحيل ، والمعروف عن الإنسان ، إنه تواق دائما إلى الخلود ويرهب الموت حتى الفراق يرهبه و بمقته لأنه موت صغير، و هكذا يبقى الطلل ، توقيع من يد الإنسـان أو تعبير عن رغبة الإنسان دائما في الخلود و للبقـاء.، ولنأخذ بعد هذا ، بعض النماذج لهذه الظاهرة :

فهذا امرئ القيس يبدأ معلقتـه بوقوفه على الأطـلال لتذكير أحبته الظاعنين ويصف الأطلال التي لم يعفي رسمها رغم تعرضها للتقلبات الجوية، من ريح جنوبية وشمالية ، حيث يقول :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ** بِسِقْطِ اللِّـوَى بَيْـنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَـلِ
فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاتِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا** لِمَـا نَسَجَتْهُ مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْـأَلِ46

فهذا الوقوف لبكاء المكان والأحبة يشير إلى فقد المكان وخلوه من الأنس والحياة ذلك الأنس الذي تنشئه المرأة بغنجهـا و دلالهـا وهذا يومئ إلى أن فقدان ذلك الأنس يعد من قبيل الموت و الشاعر دوما يبحث عن الحياة .

و لنقف برهة عند أبيات النابغة .47. متأملين فـ معانيها الثراءة حيث يقول:

غَـشِيْتُ مَنَـازِلًا بِعَرِيَتَـنَّ ** فَأَعْلَـى الجِـزْعِ لِلْحَـيِّ المُبِـنِّ
تَعَاوَرَهُـنَّ صَـرْفُ الدَّهْـرِ حَتَّى ** عَفَوْنَ وَكُـلُّ مُنْهَمِـرٍ مُـزِنِّ
وَ قَفْـتُ بِهَـا القَلُوصَ عَلَى اكْتِئَـابٍ**وَذَاكَ تَفَارُطُ الشَّـوْقِ المُعَنِّـى
أُسَـائِلُهَا وَقَدْ سَفَحَتْ دُمُوعِـي ** كَـأَنَّ مَغِيضَهُـنَّ غُرُوبُ شَـنِّ
بُكَـاءُ حَمَامَـةٍ تَدْعُو هَدِيـلًا ** مُفَجَّعَـةً عَلَى فَنَـنٍ تُغَنِّـي48

- فهذا الحوار الطللي الذي يعبر عن رؤية الشاعر للوجود، و الذي يمثل تلك الثنائية المأسوية حزن التذكر وحزن التفكر، هذا الحوار الذي قام به الشاعر هو تعبير عن الذات ، و هو يقول انه أتى المنازل وتأمل فيما حلّ بها من انمحاء و دروس نتيجة صروف الزمان من رياح وأمطار، ذرف دمعه حزنا وأسى وشوقا

على فراقه لأحبته وعلى الآثار التي بدأت في الانمحاء والتوجه إلى الاختفاء، وهو بحواره هذا (وكأنه يخاطب نفسه عن معنى الحياة فهذا الطلل هو ذلك الماضي الذي ذهب و لن يعود ، و هو قطعة من الحياة هرمت).49. فالدموع التي يذرفها على الطلل إنما يذرفها على نفسه حينما يؤول مستقبلا إلى طلل .

أما الدور الأموي فقد قل فيه شعر الطبيعة إلا ما جاء في ثنايا القصائد لخدمة أغراض أخرى ، كما نجد عند الفرزدق 50 عندما كان يريد مدح عائلته فوقف عند الطبيعة ليقول بأنها عندما تجدب تكون عائلته حاضرة للرفد والعطاء حيث يقول :

إذا اغبر آفاق السماء و كشّت ** كسور بيوت الحي حمراء حرجف
وهتكت الإطناب كل عظيمة ** لها تأملك من صادق النبي أعرف

إلى أن يقول:

وَأَصْبَحَ مَوْضُوعُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ ** عَلَى سَرَوَاتِ التِّيبِ القُطْنُ مُنْدَفُ
وَجَدْتَ الثَّرَى فِينَا إِذَا يَبَسَ الثَّرَى ** وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ المُتَصَنِّفُ51

وقد وصف شعراء هذا الدور بعض الحيوانات، كما فعل الأخطل في وصفه لثور وحشي في ليلة باردة وغيره ، كما وصفوا الديار والأطلال والحنين إليها والى الأوطان.

فهذا ذو الرمة52 يقف على المكان بعين الإحساس المرهف فيقول :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّ نَاقَتِي ** فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَ أُخَاطِبُهُ
أُسَقِّيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبَثُّهُ ** تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَ مَلَاعِبُهُ53

فها هنا نجد الشاعر قد صب جام شوقه و حنينه على هذا المكان الجامد، حتى أحس وكأن ذاك الجماد قد خفق قلبه لحاله فينطق و يسليه.

و هذا عمر ابن أبي ربيعة 54 يقول:

يَا دَارُ أَمْسَى دَارِسًا رَسْمُهَا ** وَحْشًا قِفَارًا مَا بِهَا أَهْلُ
قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا ** وَاسْتَنَّ فِي أَطْلَالِهَا الوَابِلُ 55.

فهو يصف حالة تلك الدار الآيلة إلى أطلال بعدما أكل عليها الدهر وشرب .

و عن الحنين إلى الأوطان نجد الفرزدق يتخذ من الناقة معادلا موضوعيا له فيجعلها تحن إلى المدينة فيقول :

تَحِنُّ بِزَوْرَاءِ المَدِينَةِ نَاقَتِي ** حَنِينَ عَجُولٍ تَبْتَغِي اليُورَائِمْ56.

وهذا الوزير ابن محسن المهلب يحن إلى بغداد قائلا :

أَحِنُّ إِلَى بَغْدَادَ شَوْقًا وَإِنَّمَا ** أَحِنُّ إِلَى إِلْفٍ بِهَا لِي شَائِقُ
مُقِيمٌ بِأَرْضٍ غِبْتَ عَنْهَا وَبِدْعَةً ** إِقَامَةَ مَعْشُوقٍ وَرِحْلَةَ عَاشِقِ57

فها هنـا يمثل المكـان الأم التي يحن إليها أبنائهـا ويرتبطون بهـا كلما ابتعدوا عنهـا، أما في الدور العباسي ، عصر الحضارة و الأناقة المتمثلة في كل شيء حتى في الفن والأدب و الذي فيه أخذت ظاهرة الاستمتاع بالحياة تتمر ، وأخذ الشعراء يكثرون من وصف الخمرة و يتوسعون في وصف الرياض ... وكل مظاهر الطبيعة رغم أنهم لم يفردوا لها بابا مستقلا 58.

و ما يلاحظ في هذا العصر هو "تبلور الموقف المديني على نحو ناضج و بيّن و ذلك لاكتمال النموذج المجتمعي الحضاري العربي الإسلامي" و الذي تجلت ملامحه الراقية في الحواضر الزاهرة مثل بغداد و دمشق وغيرهما من المدن والممالك الأندلسيـة 59 .

و هذا ما عبر عنه أبي نـواس 60 في تمرده على المقدمة الطللية و استبدالها بالمقدمة الخمرية ، حيث مجّد الخمر إلى درجة البوح بالكفر كما يقول :

أنفـت نفسـي العزيـزة أن تقنـع ** إلا بكـل شـيء حـرام

و الخمرة ها هنـا هي إشـارة إلى أسلوب جديد في الحيـاة ، فبدل التذكـر والبكـاء ، الاستمتـاع والعيش ، وقد قـام أبو نـواس بتقديس الخمرة و لم يترك موضعا من القصيـدة إلا و أوجـد لها مكانا ، فها هو يمزجهـا بالطبيعة في وقفة تأملية رائعـة نلمس فيها عمـق في الإحساس، فهو يربط بين حركة الكون و دورة الزمن، و بين ذلك العمل الأرضي و هو مزج الخمر بالماء فيقول :

1) مَضَى أَيْلُولُ وَارْتَفَعَ الحَرُورُ ** وَأَخْبَتَ نَارَهَا الشِّعْرَى العَبُورُ
2) فَقُومَا فَالْقِحَا خَمَّرَا بِمَاءٍ ** فَإِنَّ نِتَاجَ بَيْنِهِمَا السُّرُورُ
3) نِتَاجُ لاَ تَدُرَّ عَلَيْهِ أُمٌّ ** بِحَمْلٍ لاَ تُعَدُّ لَهُ الشُّهُورُ
4) إِذَا الطَّاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا ** تَكُونُ بَيْنَنَا فَلَكٌ يَدُورُ
5) تَسِيرُ تَجُوهُ عَجْلاً وَرَيْثاً ** مُشَرَّقَةٍ وَ تَارَاتٍ تَغُورُ
6) إِذَا لَمْ يُجْرِ هِنَّ القُطْبُ مِنَّا ** وَ فِي دَوَرَاتِهِنَّ لَنَا نُشُورٌ.61

وفي نفس المضمـار يظهر لنا المتنبي.62. متعطفا نحو الطبيعـة ، متأمـلا إياها و مقـارنا لهـا مع الإنسان ، حيث يعقد مقارنة في الليل بين النجم و الإنسان فيقول :

1) حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ ** وَ مَـا سُـرَاهُ عَلَى خـفٍ وَ لاَ قَـدَمِ
2) وَ لاَ يُحِسُّ بِأَجْفَانٍ يُحِسُّ بِهَـا ** فَقَـدُّ الرُّقَـادِ بَـاتَ لَـمْ يَنَمِ
3) تُسَوِّدُ الشَّمْسَ مِنَّا بِيضُ أَوْجُهِنَا ** وَ لاَ تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ وَ اللِّمَمِ
4) وَ كَانَ حَالُهُمَا فِي الحُكْمِ وَاحِدَةٌ ** لَوْ اِحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ
5) وَنَتْرُكُ المَاءَ لاَ يُنْفَكُّ مِنْ سَفَرٍ ** مَا سَارَ فِي الغَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الأَدَمِ.63

فها هنا نجد الشاعر ، يقف أمام الطبيعة و الإنسان في فضاء من الحيرة و التساؤل ، فهو يرى ضعف الإنسان أمام الطبيعة وقوة الطبيعة على الإنسان و من المعلوم أن المتنبي قد تحدى العالم بأنآه وارتفع عنه فها هنا نلاحظ انه يصبوا إلى تحدي الطبيعة و التفوق عليها و لكن...؟
انه يتمنى أن يكون كالعذرْ و اللمم الذي لا تؤثر فيهما الشمس كما يؤثر على الوجه فتسوّده.

و في مقام آخر نلقى شعر الحنين إلى المدن و الأوطان، و الذي يعد صيغة حضارية جديدة لشعر الوقوف على الإطلال في القديم ،فالإسلام دين مدني عمق و طور علاقة العربي بالمكان، و من أخير ما جادت به قرائح الشعراء في هذا المضمار .. سينية البحتري 64 في وصف إيوان كسرى حيث قالها تأسيا له و تعزية لفراقه الصعب لبلده الحبيب الشام فيقول :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي ** وَ تَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْرُ ** الْتِمَاسا مِنْهُ لِتَعْسِي وَ نَكْسِي
حَضَرَتْ رَحْلِيَ الْهُمُومُ ** فَوَجَّهْتُ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عَنْسِي
أَتَسَلَّى عَنِ الْحُظُوظِ وَأَسَى** لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ
وَكَأَنَّ الإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْـ ** ـعَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرْضٍ جَلَسِ
يَتَظَنَّى مِنَ الكَآبَةِ إِذْ يَبْـ ** ـدُو لِعَيْنٍ مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي
مُزْعِجًا بِالفِرَاقِ عَنْ أُنُسٍ إِلْـ ** ـفٍ عَزٍّ أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِيقِ عِرْسِ 65

و هذا المتنبي هو الآخر يحن إلى دمشق ، و هو يعاني ألم الاغتراب في جنات الدنيا أرض فارس ، فيتمنى لو كانت غوطة دمشق مكان شعب بوان لوجد فيها الضيافة و الكرم العربي

مَغَانِي الصِّبَا طِيبًا فِي المَغَانِي** بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ [illegible] هَا**غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللِّسَانِ
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِي ** لَبِيقُ الطَّرْدِ صِينِيُّ الحِقَانِ
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانَ حِصَانِي ** أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطِّعَانِ66

فهو يصور لنا جمال وبداعة تلك الشعب و التي صور حالها بزمن الربيع و لكن رغم كل هذا الجمال فهو يشعر بالغربة و يحن إلى وطنه الأم مهما كان لأن المكان يعرف بالحال فيه و بالتالي يتعلق به أو لا يتعلق به، و إلى جانب كل هذا نجد مواقف أخرى معادية للمدينة تعبر عن قلقلها في المدينة ورفضها لها فهذا احد الشعراء يقول في بغداد ، برفض و غضب :

بَغْـدَادُ أَرْضٌ لِأَهْـلِ المَـالِ طَيِّبَـــةٍ ** وَ لِلْمَفَالِيـــسِ دَارُ الضَّنـْـكِ و الفَلَـــسِ
أَصْبَحْـتُ فِيـهَا مُضَـاعًا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ** كَأَنِّيَ مُصْحَفٌ بِبَيْـــــتِ زِنْـــدِيقِ67

و المدينة هي ارض لمفاسد الأخلاق و انحلال القيـــم و دار خلاعـــة و فســق يقول أبو بكر احمد بن علي :

قُـلْ لِمَنْ أَظْهَرَ التَّنَسُّكَ فِي النَّـاسِ ** وَ أَمْسَى يُعَـــــدُّ فِي الزُّهَـــادِ
إِلْزَمِ الشِّعْـــرَ وَالتَّـوَاضُعَ فِيـــهِ ** لَيْسَتْ بَغْـدَادُ مَنْـزِلَ العُبَّـــــادِ
وَإِنْ بَغْـدَادَ لِلْمُلُـــوكِ مَحَـــلٌّ ** وَ مُنَـاخٌ لِلْقَـــارِيِ الصَّيَـــادِ.68

.١. سـورة هـود الآيـة (٧)
.٢. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم دار الثقافة الجزائر ـ ط/١ ـ ١٩٩٦ ، ص٧ ـ ١٠
.٣. سـورة الملـك ، الآيـة ٥
.٤. سورة البقرة الآيـة ٢٢
.٥. تاريخ ابن خلدون دار الكتاب اللبناني ببيروت لبنان، ١٩٨١ ـ ج١ ص١٥٣
.٦. قادة عطاق دلالة المدنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر ،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠١ ـ ص٢٥٩
.٧. بطرس البستاني محيط المحيط مكتبة لبنـان نـاشرون بيروت ١٩٨٧ ـ ص ٨٥٩.
.٨. محمد فـؤاد عبد البـاقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار ومطابع الشعـب ص ١٤١ ـ ١٤٢ د.ت
.٩. سورة مريم الآية ١٦ ـ تفسير بن كثير دار الأندلس ببـيروت لبنـان ج ٤. ط٦ ـ ١٩٨٤ ص ٨٥٩
.١٠. سـورة الحـج الآيـة ٢٦ تفسير بن كثير الجزء الرابع ص ٦٣١ .
.١١. سـورة الأعراف الآية ٩٥ الجزء الثالث ص ١٩٩
.١٢. سـورة المـائدة الآية ٦٠
.١٣. كـانط عمانوئيـل ..كونيغسبرغ ١٧٢٤م ـ ١٨٠٤ م نشأ وولد في كونيغسبرغ ودخل مدرسة فريدريك التي يديرها آبار سولنـز البروتستانتي التطهيري المتحمس الذي تأثر بكانط تأثيرا كبيرا ترأس كلية الفلسفة عام ١٧٨٦ـ١٧٨٨

وقد خلف عدة كتب منها المقدمات نقد الحكم التطبيقي و السلوكي رووني إيلي ألفا موسوعة اعلام الفلسفة العرب والاجانب الجزء ٢ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥
.١٤. عبد الرحمان بدوي الموسوعة الفلسفية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٨٤ الجزء ٢ ص٤٦٢
.١٥. جميل صليبيا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني ط٢ ، ص ٤١٢ .
.١٦. المعجم نفسه ص ٤١٣
.١٧. ماخ أرنست ، ١٨٣٨ ـ١٩١٦ فيلسوف نمساوي وعالم الرياضيات و الفيزياء وعالم الطبيعة ولد بتورامورافيا بمزار ١٨٦٤ ـ حصل على كرسي الفلسفة في فينـا ١٨٩٥ ، توفي في هار قرب ميونخ ومن مؤلفاته اتجاهات السائدة في الطبيعة موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب ص ٤١٤
.١٨. المعجم الفلسفي جزء ٢ ، ص ١٣ ـ ١٤ و الموسوعة الفلسفية ج ٢ ص ٤٦٣
.١٩. النسبية Relativité فلسفة ما بعد فيزياء نيوتن ، القائمة على فرضيات المطلقة كالقول بمكان زمان مطلقين لا يتبدلان و لا يختلفان بتبدل المراقب و لا بتسبان اليه خليل احمد خليل معجم المصطلحات الفلسفية ص١٩٢
.٢٠. آنشطابن ألبرت ، ١٨٧٩ ـ ١٩٥٥م، فيزيائي من اصل ألماني اكتشف نظرية النسبية موسوعة اعلام الفلسفة العرب والاجـانب ج١ ص ١٦٨ .
.٢١. الموسوعة الفلسفية ج٢ ص ٤١٣.
.٢٢. الحركة و السكون : الحركة هي شغل الشيء حيزا بعدما كان في حيز آخر و هي كونان في أين و مكانين، و السكون: هو كونان في أين و مكان واحد و هو ضد الحركة و هو زوال الحركة عما من شانه أن يتحرك (جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج١ ،٤٨٧و ج٢ ص ..)
.٢٣. كريم حسـام الديـن ، الزمان الدلالي دار غريب القاهرة ط٢ ـ ٢٠٠٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ .
.٢٤. جبور عبد النور: المعجم الأدبي ص ٥٣
.٢٥. تين هيبو ليت أدولف ١٨٢٨ ـ ١٨٩٣م، مفكر وناقد فرنسي أسهم تطبيقه للفلسفة الحتمية على الفن و الأدب كثيرا في تشكيل المواقف الفكرية الفرنسية في القرن التاسع عشر ومن مؤلفاته أصول فرنسا المعاصرة .
.٢٦. مجدي وهبة ، وكامل المهندس :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان ، بيروت ط٨ ـ ١٩٨٤ ـ ص ٨١ .
.٢٧. محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي ، دار النهضة للغوية ، بيروت لبنان ط١ ـ ١٩٨٤ ص ٨١
.٢٨. دلالة المدينـة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ص ٢٦٤.

٢٩. المعادل الموضوعي هو سلسلة من الاحداث تجعل انفعالا ذاتيا معينا مثيرا موضوعيا بمعنى ان الانفعال يكون على قد الموضوع و قد استعمل ألبنوت هذا المصطلح لأول مرة في دراسة نقدية لمسرحية هاملت عام ١٩١٩ ليعني الوسائل لا الشخصية التي تحدد توصيل الشعور المعجم المفصل في الأدب ص ٨٠٠.

٣٠. اعتدال عثمان : اضاءة النص دار الثقافة بيروت لبنان ط١ ١٩٨٨ ص ٥-٦.

٣١. هو نعيم بن أبي مقبل بن عوف بن حذيفة بن عامر بن صعصعة يكنى بأبي المعلب ، وعده ابن سلام من شعراء الطبقة الخامسة الجاهلية و هو شاعر مخضرم ،معجم الشعراء ص٤٥)

٣٢. أدونيس : مقدمة للشعر العربي دار العودة بيروت لبنان ط٣ ١٩٧٩ ص١٣ .

٣٣. حسن البنا عز الدين الكلمات و الأشياء دار المناهل ط١ ١٩٨٩ بيروت لبنان .

٣٤. الطبيعة بدورها تنقسم الى قسمين ١ طبيعة حية تشمل كل الحيوانات و الاحياء عدا الانسان ٢. طبيعة صامتة تنقسم الى قسمين طبيعة صناعية(قصور..مدن..دبار)، و طبيعة طبيعية ..(كوالب.. جبال.. سهول).

٣٥. امرئ القيس الكندي ٤٦/٣٠٠م، هو امرئ القيس ابن حجر ابن الحارث بن عمر بن معاوية بن ثور الأكبر يكنى بذو القروح، عده ابن سلام من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية معجم الشعراء ص ٢٩.

٣٦. محمد الاسكندراني ونهاد رزوقي، ديوان امرئ القيس دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١-٢٠٠٢ ص ٨٨-٨٩

٣٧. المصدر نفسه .

٣٨. أعشى بكر (الأعشى الكبير) ٦٢٤م هو ميمون ابن قيس ابن جندل بن علي بن بكر يكنى بأبي بصير و هو بعد من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية.

٣٩. عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس دار النهضة العربية بيروت ط٢ ١٩٧٦م ص ٢٨٥.

٤٠. الشنفرى الأزدي ، هو ثابت بن أوس الأزدي ، الملقب بالشنفرى من الشعراء الصعاليك من بني الحارث بن ربيعة الأزدي مات قتيلا ، (معجم الشعراء ص ١٢٧).

٤١. عبد الرحمان خنفري ، لامية العرب دار النخلة الجزائر ط١ د.ت ص ٢٧-٢٨.

٤٢. المرجع نفسه ص ١٣.

٤٣. الطلل في اللغة المكان الذي يجتمع حوله الأهل للحديث والطعام والشراب ولكن بمرور الزمن صار يعني المكان الذي بدل على انقراض عقد هذه الجماعة او رحيلهم معا بعيدا عن الشاعر (الكلمات والأشياء ص١٠٥) .

٤٤. الكلمات و الاشياء ص ١٠٥

٤٥. عبد القادر الرباعي منزل الي دراسة المعنى بالصورة في الشعر الجاهلي المجلة العربية للعلوم الانسانية ع٦ مج٢ ١٩٨٢ جامعة الكويت ص٨٨.

٤٦. أحمد أمين الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر ، تح محمد القاضلي ، مكتبة العصرية ، صيدا بيروت ط٢ ١٩٩٩ ص٢٣ - ٢٤

٤٧. النابغة هو زياد ابن عمرو بن معاوية ... بن مضر، يكنى أبا أمامة ، وهو من أصحاب المعلقات (ت١٨هـ ٦٠٤ م)

٤٨. الكلمات و الاشياء

٤٩. بادبس فوغالي المكان ودلالته في الشعر العربي القديم مجلة الأدب و العلوم الانسانية ع١ -٢٠٠٢ص ٥٦ جامعة الأمير ع/القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة .

٥٠. الفرزدق ٢٠هـ الى ١١٢هـ، شاعر تميمي نشأ في بيت كريم عرف بنقائضه مع جرير واشتهر بها ، معجم الشعراء ص ٢٠٨.

٥١. إلياذة الحاوي في النقد والأدب دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ج٢ ط ٤ - ١٩٧٩م ص٢٥

٥٢. ذو الرمة ٦٩٦م ، ٧٣٥م، هو غيلان بن عقبة أبو الحارث العدوي المضري المعروف بذي الرمة ولد ونشأ باليمامة (أوزار الشعار الشعراء العرب)ج١ ص ٨٢

٥٣. اصلاح خ.ت الصور قراءة جديدة لشعرنا القديم ص ٦٢

٥٤. عمرو بن أبي ربيعة القرشي ٧٣هـ/٦٠٣هـ هو عمرو بن عبد الله بن أبي ربيعة كنيته أبو الخطاب هو أول شاعر قرشي مرموق المكانة (معجم الشعراء ص ١٧١.)

٥٥. المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب دار صادر بيروت تح، إحسان عباس ج ١ ص ٥٠٠

٥٦. ابراهيم رمضاني المدينة في الشعر العربي ، دار هومة ، بوزريعة الجزائر ط٢ ص ٢٠

٥٧. المرجع نفسه ص ٢٠

٥٨. أدب الأندلسي ص ٢٨٧.

٥٩. المدينة في الشعر العربي ص ٢٠-٢١.

٦٠. أبو نواس ولد في سوق الأهواز إحدى قرى خوزستان في الجنوب الغربي من فارس ١٤٠هـ - ٧٥٧م ، وهو مولد عرف بخمرياته حتى أنه استبدل المقدمة الطللية بالمقدمة الخمرية توفي سنة ١٩٩هـ - ٨١٣ م ، ص ١٧-٢١

.١١. ديوان ابو نواس دار صادر بيروت ص ٣٢١ و صلاح عبد، العودة الى الأصل مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، د. ت ص ٣٤_٣٥

.١٢. المتنبي ، ٩١٥م ٩٦٥م، هو أحمد ابن الحسين الجعفي الكندي ينتهي نسبه الى يمني كهلان كنيته ابو الطيب ولقبه المتنبي و لد ونشأ بالكوفة (معجم الشعراء ص١٧٤)

.١٣. البحتري ٨٢١م/ ٨٩٧م، هو ابو العبادة الوليد بن بحي البحتري ينتهي نسبه الى طيئ من جهة ابيه والى شيبان من جهة أمه يكنى ابا عبادة و ابا الحسن و يعد من الطبقة الاولى من المولدين في العصر العباسي (الشعراء العرب ص ١٦٥)

.١٤. عبد الرحمان البرقوقي شرح ديوان المتنبي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ج٣ ص ٤٩.

.١٥. ديوان البحتري دار صادر بيروت مج ١ ، ص ١٩٠ _١٩٤.

.١٦. شرح ديوان المتنبي ص ٣٨٣_٣٨٧.

.١٧. المدينة في الشعر العربي ص ٢١

.١٨. المرجع نفســـه ص ٢٢ .

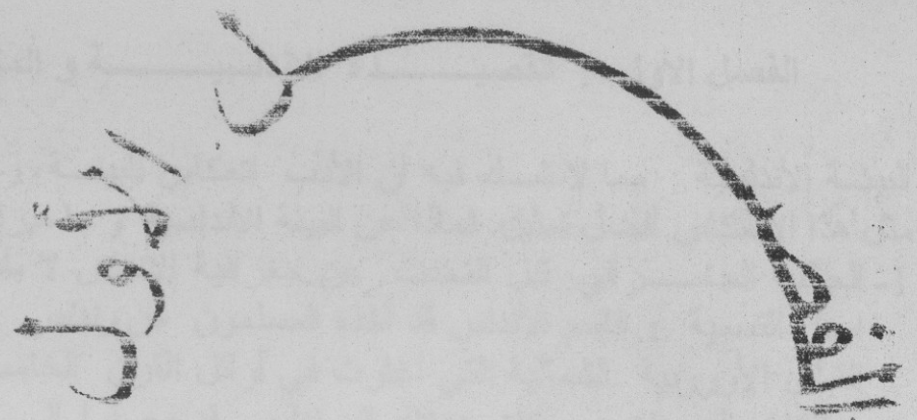

القصيدة الأندلسية و المكان

أولا: البيئة الأندلسية

ثانيا: تجلي المكان في القصيدة الأندلسية

الفصل الأول : القصيـــــدة الأندلسيـــــــة و المكـــان

البيئـة الأندلسية : مما لا شـــك فيه أن الأدب انعكاس للبيئـــة، و الأدب الأندلسي مثل هذا الانعكاس أفضل تمثيل فماذا عن البيئة الأندلسية و ما ميزتها .

1- الجانب الجغـــــرافي: قبل التحدث عن جغرافية الأندلس لا بأس أن نقف على اصل التسمية .1. فاسم الأندلس قد أخذه المسلمون من *وندلس* وهو اسم لبعض القبائل الأوروبية الشمالية التي أغارت في أوائل القرن الخامس ميلادي على ممتلكات الرومان ، و كان هؤلاء الو ندلس قد وصلوا إلى جنوب أسبانيا و سموه باسم قندنليسيا نسبة إليهم، فلما جاء المسلمون فيما بعد و عرفوا ما كان من أمر الوندلس بتلك البلاد فسموها بلاد الأندلس و هذا الرأي هو أرجح الآراء.

و قد بقي هذا الاسم حتى بعد خروج المسلمين من الأرض الأندلسية مع بعض التغيير في اللفظ و المعنى، فبعد ما كان اسم الأندلس يمثل شبه الجزيرة الايبيرية عامة انتقل ليمثل الجزء الجنوبي فقط مع تغيير في اللفظ الذي أصبح أندلس Anda Lucia.2. أما من الناحية الجغرافية فالأندلس تقع في الجنوب الغربي من أوربا يحدها غربا المحيط الأطلسي، و جنوبا مضيق جبل طارق وجزءا من البحر المتوسط الذي يكتنفها ممتدا إلى شرقيها، أما شمالا فتحدها فرنسا و التي كان يطلق عليها العرب بلاد الفرنجة، و يفصل بين شمال الأندلس وفرنسا (جبال البرانس) التي كانت تسمى بالجبل الحاجز و الذي كان صعب المسلك و لا يمكن احد من الدخول منه، فهو كالحصن أو كالسور الحامي لبلاد الأندلس، و يرتفع وسط الأندلس و شمالها هضبة أطلق عليها جبل الشارات و منها ينبع نهر دويرة و نهر تـاجة الذي تقع عليه طليطلة و طليرية و شترين و أشبونة و يصب هذا النهر في المحيط الأطلسي، و ينبع نهر شقـر و نهر الوادي الكبير من جبال شاقورة، الأول يصب في البحر المتوسط، و الثاني في المحيط و عليه تقع المدن الكبيرة قرطبة و قرمونة و إشبيلية و يفصل الجنوب والجنوب الشرقي عن وسط الأندلس و شماله سلسلة جبال نفـادا، و كانت تعرف في العصر الإسلامي بجبال الثلج ، و يظل هذا الجبل على مدينة غرنـاطة ومن هذه الجبال ينبع نهر حدارة و سنجـل اللذان يشقان غرنـاطة .

ويذكر بعض المؤرخين أن الأندلس ، أند لسان.2 شرقي وغربي، أما الشرقي فما صبت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط و أما الغربي فهو ما جرت أوديته إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط ، و الشرقي منها يمطر بالريح الشرقية و على يصلح، وأما الغربي فيمطر بالريح الغربية و بها صلاحه، و جباله هابطة إلى الغرب جبلا بعد جبل، وأوديته تجري من الشرق إلى الغرب بين هذه الجبال ويضيف بعض المؤرخين إلى هذا التفصيل تقسيما ثالثا هو وسط الأندلس و كان يضم من المدن العظمى طليطلة و قرطبة و جيـان و غرنـاطة و المرية و مالطـ

و من المدن الكبرى في الشرق "هريسة" و "أوربولة" و "دانيا" و "شاطبة" و "يلنسية" و "طرطوشة" و "طركونة" و "برشلونة"، و "سرقسطة" ومنها في الغرب "إشبيلية" و "مارده"، و "أشبونة" و "شلب" .3.

و بهذا الموقع الاستراتيجي وهذه الجغرافية الخصبة اكتسبت الأندلس عدة مزايا جعلتها تغدوا مثارا للفتن والحروب منذ القدم إلى أن خرجت من يدي العرب إلى يد العجم، و كذلك الأدباء بهروا بجمالها الآسر فتعلقوا بها وتغنوا بجمالها و سحرها، و حنوا إليها و رثوها بعد سقوطها، "و قد شبهت بالعقاب ومخالبه طليطلة، وصدره قلعة رياح و رأسه جيان و منقاره غرناطة، و جناحه الأيمن باسط إلى المغرب وجناحه الأيسر باسط إلى المشرق" .4. و قد وصفها أبو عبيد البكري، "أنها شامية في طيبها و هوائها يمانية في اعتدالها و استوائها، هندية في عطرها وزكاءها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحامل الفلسفة .5".

بالإضافة إلى كل ما سبق أن الحضارة الإسلامية في الأندلس عرفت تطورا عمرانيا هاما، فقد شيدت عبر عصورها القصور و المدارس التعليمية و كذلك المتنزهات، هذا فضلا عن الأساطيل و السفن التي كانت وسائل سفر فالأندلس بها الكثير من الأنهار التي تحتاج إلى وسيلة التنقل بين أجزائها، فقد بنى عبد الرحمان الداخل جامع قرطبة، واختط مدينة الرصافة، وجعل بلاطه كبلاط " لود ريق " .6. في عظمته و بهائه . وجاء عبد الرحمان الثالث الملقب بالناصر و احتل مكانة مدنية هامة، حيث بلغ عدد الجوامع 11300، و 300 حمام و 20 ضاحية .7. و بنى الناصر على مقربة من عاصمة ملكه قرطبة قصرا سماه الزهراء، وقد استغرق في بنائه 25 سنة على أيدي آمهر البناءين و أجرى فيه المياه و أنشأ حوله الحدائق و البساتين بحيث أصبحت قرطبة وزهراء ها مدينة سحرية تجلب الناظرين، و قد بنى أسطولا زاحم أسطول الفاطميين و أسس المدارس . وقد تنافس ملوك الطوائف عمرانيا فبنوا القصور و القلاع، كما عرفت غرناطة في حكم بني الأحمر أزهى عصورها، وفيها شيدت قصور الحمراء .8.

***الجانب السياسي** : يبدأ الفتح العربي بشبه الجزيرة الأيبرية منذ عام 92 هجرية إلى 711 ميلادية فصاعدا، و قد مزجت قصة هذا الفتح بكثير من الأساطير و قام بهذا الفتح أول الأمر عمال من قبل خلفاء بني أمية في دمشق، يربوا عددهم عن العشرين بينهم القائدين الفاتحين "موسى بن نصير" و "طارق بن زياد"، اللذين كانا على رأس الجيش الذي اجتاح الأندلس إلى جانب الجيش البربري، و قد توغل هذا الجيش في البلاد الإسبانية حتى وصل إلى قلب فرنسا عند مدينتي توربواتيه Toors-Poit Tiers(732) ، ثم نشبت الفتنة بين عرب الشمال و الجنوب و بين البرابرة، و السبب في هذه الفتنة، هو نشوب ثورة في

المغرب من طرف البربر ضد الشاميين و المصريين، فتحرك بربرة الأندلس، و كذلك لأنهم كانوا يريدون الحكم لهم لأن الفاتح منهم و الفتح كان على أيديهم و على إثر ذلك أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك نجدات إلى إفريقيا، فاستطاعوا إخماد تلك الفتن في المغرب وإسبانيا.

و في عام 130 هجري إلى 756 ميلادي قامت إمارة قرطبة أي الأندلس منفصلة عن العباسيين، على يد عبد الرحمان بن معاوية بن هشام ابن مروان الملقب بعبد الرحمان الداخل، و هو أمير أموي فر من الاضطهادات التي مزقت شمل أسرته، و قد أقام دولته وفقا لبرنامج يهدف إلى ثلاثة أمور :

1- تنظيم الجيـــــــش

2- فتح أبواب الأندلس أمام الأمويين المضطهدين في الشرق

3- إيجاد التفاهم بين عناصر العرب و لا سيما القبائل التي يحارب بعضها بعضا ،ودعم السلطة الأموية باللجوء إلى توطيد الأمن في جميع أنحاء البلاد الأندلسية، و قد دام ملك عبد الرحمان الداخل 34 سنة و عند وفاته كانت الدولة الأموية في الأندلس تتمتع من الناحية السياسية و الاجتماعية بجميع صفات الدولة القوية المنظمة و تداول الحكم بعده أبناءه و أحفاده.

و من عام 912 ميلادي إلى 942 ميلادي أي في عهد عبد الرحمان الثالث، وصلت هذه الدولة إلى أوج عظمتها فقد دام حكمه 50حولا مما سمح له بتأمين نوع من الاستقرار لسياسته لم يعرفه الملوك الذين سبقوه ولا الذين لحقوه، ثم أخذت هذه الدولة في التدهور خاصة بعد وفاة الأمير الموهوب المنصور الحاجب و هو أعظم ساسة الأندلس وقـوادها.

و في عام 403 هجرية إلى 1012 ميلادية تلاشت هذه الدولة القديمة، و حلت محلها دويلات قصيرة العمر حكمها أمراء يعرفون بملوك الطوائف،كان اغلبهم على جانب من الثقافة، وقد قامت بين هؤلاء الملوك حروب متصلة .و كان القوي فيهم يغلب الضعيف فيزيل سلطانه كما أزال ملوك بني عباد حكم بني و جهـور في قرطبة،و لم يتوانى بعضهم عن الاستنجاد بملوك الفرنجة فيغتنم هؤلاء الفرصة، و يهاجمون الأندلس و يستولون على عواصمها و يخضعون ملوكها و يجعلونهم عمال لهم كما فعل فيرديناند الأول بالمضفر ملك بطليوس و بالمأمون ملك طليطلة ، و كما فعل الفانوس السادس بملك سرقسطة.

و قد دام ملك الطوائف نحو 100 سنة تقريبا ، استطاع في أواخرها ملوك الأسبان من جمع كلمتهم، فهاجموا هذه الدويلات واحدة واحدة وقضوا عليهم حتى بلغوا اشبيلية عاصمة بني العباد، فضايقوا المعتمد حتى اضطر إلى أن يطلب النجدة من أمير المرابطين في إفريقيا، فلبى نجدته أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ،و ثبت الحكم للمعتمد، ثم عاد الفرنجة مرة ثانية للإغارة على المعتمد، فاستنجد مرة

أخرى بيوسف بن تاشفين،ولكن هذه المرة نجده ثم أسره و تولى الحكم مكانه، بعد أن استهوته رياض الأندلس و قصورها فقامت دولة المرابطين بالأندلس عام1090. و لم يدم حكم المرابطين طويلا، فحضارة الأندلس و ترفها و أسباب أخرى أدت إلى فساد القواد،و بعد نهاية حكم المرابطين بالأندلس سادها شيء من الاضطراب قبل أن تستقر الأندلس نهائيا في حوزة الموحدين .

بدأ عصر الموحدين عام 1135 م، مع تدخلهم الأول في شؤون الأندلس، و الموحدون هم طائفة من إفريقيا من أصحاب بني تومرت الذي أراد أن يضع للدين عهدا جديدا، فدعا نفسه بالموحد و جمع حوله الأنصار شيعته بعد ذلك الجهاد على المرابطين فغلبوهم في إفريقيا ثم نقلوا الحرب إلى الأندلس فغلبوهم فيها أيضا ،و قد دام ملك الموحدين نحو 130 سنة استطاع بعدها ملوك النصارى في الأندلس قهرهم و إخراجهم من الجزيرة و الاستيلاء على أكثر إماراتها.

و بعد زوال الموحدين من الأندلس ،حكمها بني الأحمر و هي قبيلة عربية من بني الأحمر، عميدها محمد بن يوسف الناصري المعروف بابن الأحمر سليل بني نصر ، فقام هذا أيضا يقاتل النصارى ولكن روح التنافس و الضعف لم تكن لتسمح للمسلمين بالتفوق واستطاع الإفرنج أن يستولوا على المدائن و القصور و الحصون حتى بلغوا قرطبة فحاصروها ستة أشهر ثم سقطت في أيديهم سنة633 هـ/1235 م، ثم انحصر المسلمين في مملكة غرناطة يتولى ابن الأحمر أمير المسلمين، واستطاعت هذه الدولة الصغيرة أن تصمد في وجه التوسع الإفرنجي مدة دامت نحو قرنين ونصف ، وذلك لاستنجاده بسلاطين المغرب ولأن ملوك الأسبان كانوا ينشغلون عنها ، بمحاربة بعضهم بعضا.

و في سنة 898 هـ /1492م ، أي بعد نحو8 قرون من الفتح هاجم فرنا ند و إيزابيلا بني الأحمر، فسقطت غرناطة آخر معقل للفاتحين، و سلم أبو عبد الله آخر ملوكها مفاتيح الحمراء للغالبين ، و في عام 1609م قتل وأخرج آخر عربي في تلك الأصقاع ليسدل الستار بذلك على الحضارة الإسلامية في الأندلس .9. و قد اتسمت العصور التي مرت بالأندلس بعدة سمات تتمثل في :

*العصر الأول : و هو عصر الحروب و الفتح ، دام قرابة الأربعين سنة و لم يستقر الحال في هذا العصر إلا بعد وصول عبد الرحمان الداخل، و لعل ذلك راجع لما كان من خلاف بين العباسيين و الأمويين .

* العصر الثاني : كانت السيادة العربية المطلقة، حيث كانت السيادة فيه لبني أمية، وقد نزح الكثير فيه من الشرق خاصة الشام و المغرب و انتشروا في المدن الاندلسية، فنشط العمران و قد امتد هذا العصر إلى غاية القرن الرابع، كانت بدايته عام 138 هـ، هذا وقد نشطت أيضا الحركة الأدبية و الغنائية على يد زرياب ابن عبد ربه ، و ابن هانئ ، و غيرهم و قد كان الربع الأول من ذلك القرن

الرابع فترة انتقالية فاصلة ما بين السيادة الأموية و ملوك الطوائف، سادتها الفوضى و الاضطراب و الفتن و الثورات.10.

* **العصر الثالث** : و يمتد من نهاية الربع الأول من القرن الخامس حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس، و قد كان هذا العصر حافلا بالنشاط الأدبي و الفكري و فيه ازدهرت الموشحات و نهايته ظهرت الأزجال .

* **العصر الرابع** : و هو عصر المرابطين القساة الجفاة، وقد امتد هذا العصر من عام 448هـ و استمر قرابة 60 عاما، و كان عهد التعصب المذهبي وذبول الأدب حيث تسلط البربر على البلاد و في ذلك العصر أزدهر الزجل وظهر الشعر العامي .

* **العصر الخامس** : و هو عصر الموحدين و قد امتد من عام 564 هـ حتى عام 667 هـ، وهذا العهد و إن كان عهد الفتح و الحماس الديني، إلا انه كان مع هذا عهد الانفتاح الفكري، فازدهرت العلوم والآداب و نشطت الحركة الفلسفية .

* **العصر السادس** : و هو عصر بني الأحمر و هم أعراب أقحاحا، إلا أن عصرهم كان عهد الانكماش السياسي، وفيه شهدت الأندلس حركة ما يسمى بالاسترداد الأسبانية، و مع هذا فقد كان هذا العصر من الناحية الثقافية عهد الموسوعات و الموشحات مع لسان الدين ابن الخطيب .

* **العصر السابع** : و هو عهد المسح و التمسيح الأسبانيين ، ففيه اخرج العرب من ديارهم رغم من بقي منهم على اعتناق المسيحية، و في هذا العصر ظهرت محاكم التفتيش التي كانت و لا زالت تمثل الخزي والعار الأبدي و الخالدي، لهمج ورعاع و أجلاف الغرب و كان ذلك عام 1609م .11.

الجانب الإجتماعي : بعدما فتح العرب الأندلس أصبح المجتمع الأندلسي خليطا من الشعوب الإسلامية المختلفة الأصول و الأجناس، وذلك لما تميز به الإسلام من مبادئ سمحة تصهر كل الأجناس تحت راية الإسلام وبذلك كان ينقسم الشعب الأندلسي إلى السكان الأصليين و هم قسمان :

1- قسم من اعتنق الإسلام وأبنائهم المولودون، وقسم تشكله العناصر الأسبانية التي بقيت على نصرانيتها، وقد أطلق عليهم اسم الأعاجم أو الأعراب

2- البـــــــر بـر :وهم الذين كانوا في طليعة الفتح وقد دخلوا مع طارق بن زيـاد وقبله دخلوا مع طريف، ثم لم يلبث هؤلاء أن شكلوا الأكثرية الإسلامية في الأندلس .

3- العرب الذيـن دخلوا مع موسى بن نصير ودخل قسم منهم مع طارق بن زياد وهؤلاء يطلق عليهم البلديين .

4- الصقالبة: و هم طبقة من العبيد وأسرى الحروب الذين كانوا ينحدرون من أصول أروبية، من البلاد الواقعة من تركيـا و الماجر و كان منهم الخصيان الموالي.

5- اليهـود وكانت و وظيفتهم إثارةالفتن و الفســـاد.12. فجميع هذه الأجناس قد شكلت المجتمع الأندلسي عبر 8 قرون، كانت في القرون الأولى مزيجا واحدا على أيام عبد الرحمان الثالث الحازم القوي، و بعده بدأت هذه الوحدة تتلاشـــى حتى جاءت الفتنة تلو الفتنـة، وكان هذا الاختلاف الجنسي من أعظم الأسباب التي أزالت ملك الإسلام في الأندلس. هذا و تجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أنهم رغم هذا الاختلاف فقد اشتركوا في بعض السمات التي تميزهم عن غيرهم ، من شخصيات البلدان الأخرى، فالأندلسي رجل مهتم بلباسه و هندامه وطعامه محبـا للهو والغناء و الموسيقى، حسن التدبير ، محبا للعلوم والفلسفة و العدالة، على حد تعبير ابن غـالب في رسالته (فرحة الأنفـــس) التي يذكرها المقـــري.13.
هذا وابن غـالب لا يكتفي بهذا الوصف بل يحاول إيجاد بعض التشابه بين الأندلسيين والشعوب الأخرى حيث يقول:«أهل الأندلس عرب في الأنساب و العـزة والألفة وعلو الهمم وفصاحة الألسـن وطيب النفـوس وإيبـاء الضيم وقلة احتمال الذل، و السماحة بما في أيديـهم والنزاهة عن الخضوع و إتيان الدنيـة ، هند يون في إفراط عنايتهم بالعلوم ، وحبهم فيـها و ضبطهم لهـا وروايتهم، بغداديون في نظافتهم و ظرفهم ورقـة أخلاقهم ، ونباهتهم وذكائهم وحسن منظرهم، وجودة قرائحهم و لطافة أذهانهم وحدة أفكارهم و نفوذ خواطرهم ، يبانيون في استنباطاتهم للمياه و معاناتهم لضروب الفراسات،و اختيارهم لأجناس الفواكه و تدبيرهم لتركيب الشجر،و تحسينهم للبساتين بأنواع الخضـر و صنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة».14. فهذه الصفات التي يتميز بها الأندلسي عن غيره، كان المحيط الأندلسي له اليد الطولى في تشكيلها.
و بالإضافة إلى ما سبق فإن اللغة العربية هي اللغة الغالبة في هذا المجتمع لأنها لغة القرآن و الإسلام ، والذي انتشر في البلاد على نطاق واسع .15.

بالإضافة إلى كل هذا فان العصر الأندلسي يتسم بسمتين كان لهما كبير الأثر على المجتمع الأندلسي و هما التعصب و الاستبداد من ناحية ، والتساهل و الحرية من ناحية أخرى ، فقد كان لوجود المسلمين في بقعة تتاخمها النصرانية، دور في إزكاء الشعور الديني من طرف الفقهاء للناس، لكن هذا التعصب الذي كان خيرا في سبيل دعم الدعوة الإسلامية،كان سلبيا من ناحية أخرى ، حيث أن الفقهاء خوفا على سيادتهم و حرصا عليها كانوا يثيرون الناس ضد المفكرين و الفلاسفة، و طلبوا من الخلفاء تضييق الخناق على المفكرين والفلاسفة مما أدى إلى إحراق كتبهم و اضطهادهم، منهم ابن رشد،وابن هانئ الاندلسي،وابن زيدون،وابن الخطيب بن زمرك...وغيرهم.

و إلى جانب هذا التعصب الديني الذي كان يكم الأفواه ، كانت هناك حياة كلها دعة وتساهل وكانت الحياة الخاصة متعة متصلة الحلقات، وهنا تبدو الحرية مادامت لا تتصل بأمور السياسة والدين والحكم ، ولا تتصدى للمصالح الذاتية، و كانت نتيجة هذا أن تهتك الأندلس دون وازع ، و انغمس الشعراء والكتاب في الدعارة و نطقت ألسنتهم بأفحش الأقوال، و امتدت هذه الحرية إلى الملوك الذين أطلقوا العنان للهوهم و طربهم، و لهو الناس وطربهم، فانتشرت الخلاعة وعم الفساد الأخلاقي ، وكان ضرر هذا التسامح ابلغ أثرا من ضرر التعصب،حيث افسد النفوس فاستسلمت للراحة والدعة،وهان عليها أن تقبل الصدمات والذل ولاتثور لكرامتها، فبقيت خانعة باكية ، تحن إلى مجد أفل وعز سليب .16.

ثانيا : تجليات المكان في القصيدة الأندلسية

إن المكان الأندلسي متميز جدا و الشاعر الأندلسي قد وعى هذا المكان و عيا جماليا ، فبلوره في قصائد خالدة تقف لحد الساعة شاهدا حضاريا لثمانية قرون عربية ، في شبه الجزيرة الأيبيرية . و قد تعلق الشعراء الأندلسيون بهذا المكان فطفقوا ينظمون حوله أشعارا في شتى الأغراض الشعرية، و من بين أهم الأشعار التي تناولت هذا المكان بشكل مباشر نذكر :-

1-شعر الطبيعة .

2-شعر رثاء المدن و الممالك الزائلة .

و سنحاول من خلالهما أن نكشف عن تجليات المكان الأندلسي فيما يلي .

1- شعر الطبيعة : لقد هام شعراء الأندلس بمحاسن طبيعة بلادهم و جمال رياضها و رونق سماءها و زقزقة عصافيرها و أطيارها ... فكانت مرتعا لخيالهم و ملهما لأشعارهم ، فإذا ما تصفحنا المتن الشعري الأندلسي ألفيناه غنيا بالأشعار المنظومة حول وصف الطبيعة الأندلسية، فقد أغرق شعراء الأندلس في وصف طبيعتهم، واتخذوا في ذلك عدة اتجاهات ، كالتغني بجمال طبيعة بلادهم ووصف مجاليها و كذا وصف مجالس أنسها و قصورها ... و الحديث في هذا المجال يطول و يطول لو تتبعناه ، لذا سنحاول الوقوف على التجليات التي تكاشفنا بها أشعار الطبيعة .

إن أول ما يستوقفنا هاهنا هو ذلك الحس الجمالي الذي تشيعه قصيدة الطبيعة ، كيف لا، و منبعها الجمال ، فهذا ابن سقر المريني يقول في و صف طبيعة الأندلس :-

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تَلْتَذُّ نُعْمَاءُ ** وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا الْقَلْبُ سَرَّاءُ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُنْتَفَعٌ ** وَ لَا تَقُومُ بِحَقِّ الْأُنْسِ صُهْبَاءُ
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَ الْمِسْكُ تُرْبَتُهَا ** وَ الْخَزُّ رَوْضَتُهَا ، و الدُّرُّ حَصْبَاءُ
قَدْ مُيِّزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ ** فَرِيدَةً وَتَوَلَّى مِيزَهَا الْمَاءُ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أَبْحُرٌ خَفَقَتْ ** وَ جَّدا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهِيَ حَسْنَاءُ
لِذَا يَبْسِمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ ** و الطَّيْرُ يَشْدُوا وَالْأَغْصَانِ إِصْغَاءُ
فِيهَا خَلَعَتْ عَذَارَى مَا بِهَا عَوَضٌ ** فَهِيَ الرِّيَاضُ وَ كُلُّ الْأَرْضِ صَحْرَاءُ.17

فها هنا يصف الشاعر جمال الأندلس الفتان و طيب العيش بها، ففيها السرور الدائم والأنس و ماءها فضة و تربتها مسك ... و ما أروع تلك الصورة التي يقدمها لوصف جمال الأندلس،حيث يصورها كحسناء هامت بها البحار فأحاطتها من جميع الجهات، و حتى الزهر يبتسم من طرب في رياضها ، والأطيار تشدوا والأغصان تنصت لذلك فما دامت الأندلس بهذا

الجمال فليس بغريب أن يعجب بها شاعرها، فتبدو ا في عينيه روضة و كل الأرض صحراء.
و هذا ابن حمد يس.18. ينظر إلى سقوط البرد بعين خياله فيرسم لنا لوحة لذلك فيما لا يتعدى الوصف الفوتوغرافي حيث يغدوا البرد درّ، و لؤلؤ أصدافه السحب ، فيقول:
نَثَرَ الجَوُّ عَلى الأَرضِ بَرَدْ ** أَيَّ دُرٍّ لِنُحُورٍ لَوْ جَمَدْ
لُؤْلُؤٌ أَصْدَافُهُ السُّحْبُ الَّتِي ** أَنجَزَ البَارِقُ مِنْهَا مَا وَعَدْ.19.

و قد تلمس وصاقوا الطبيعة جمال طبيعتهم من خلال استعمال طريقة التشخيص، وخلع الصفات الإنسانية على المنظر الطبيعي كما فعل أبو المطرف بن عميرة عندما وصف نهر اشبيلية، حيث أوجد له ظاهرة المد و الجزر في ذلك النهر بعدة صور، فتارة يبدوا كالحسناء تقلص عنها ثوبها فخجلت لانكشاف مفاتنها التي كانت محجوبة و تارة كالعاشق يزفر زفرات شوق من الحين إلى الحين فيقول : -

يَا حِمْصَ.20. إِنَّكِ فِي البِلَادِ فَرِيدَةٌ ** بَدِيعٌ حَسُنَ جَلَّ عَنْ تَحْسِينِ
أَحْبِبْ بِنَهْرِكِ حِينَ يَزْخَرُ مَدُّهُ ** فَيَرُوقُ مِنْهُ تَحَرُّكٌ كَسُكُونِ
وَيَعُودُهُ الجَزْرُ الذِي يَبْقَى عَلَى ** شَطَّيْهِ حَجْرٌ دُونَهُ لِلطِّينِ
مِثْلِ الخَرِيدَةِ إِنْ تَقَلَّصَ ثَوْبُهَا ** جَعَلَتْ لِشَيْءٍ تَحْتَهُ مَدْفُونُ
وَ كَأَنَّمَا هُوَ عَاشِقٌ ذُو زَفْرَةٍ ** تَعْتَادُهُ فِي الحِينِ بَعْدَ الحِينِ .21.

و نفس الظاهرة نلمسها في وصف روضة لابن الجنان الشاطبي ، حيث يقول :-
وَ دَوْحٍ بَدَتْ مُعْجِزَاتٌ لَهُ ** تَبِينُ عَلَيْهِ وَتَدْعُوا إِلَيْهِ
جَرَى النَّهْرُ حَتَّى سَقَى غُصْنَهُ ** فَمَالَ يُقَبِّلُ شُكْرًا يَدَيْهِ
كَسَاهُ الأَصِيلُ ثِيَابَ الضَّنَى ** فَحَلَّ طَبِيبُ الدَّيَاجِي لَدَيْهِ
وَ جَاءَ النَّسِيمُ لَهُ عَائِدًا ** فَقَامَ لَهُ لَا ثِمًا مُعْطِفَيْهِ.22.

فالشاعر في هذه الصورة يجعل من أجزاء الطبيعة أشخاصا فالنهر يد تقبل و الدجى طبيب و النسيم شخص يعود مريضا ، و هناك من الشعراء من جعلوا الطبيعة معادلا موضوعيا لأفراحهم و أحزانهم، فهذا ابن حمد يس يضفي على النهر المسحة الحزينة التي كان يشعر بها ويقول :-
وَ مُطَّرِدِ الأَجْزَاءِ يُصْقَلُ مَتْنُهُ ** صَبَا أَعْلَنَتْ لِلْعِينِ مَا فِي ضَمِيرِهِ
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الحَصَى كُلَّمَا جَرَى ** عَلَيْهَا شَكَا أَوْجَاعَهُ بِخَرِيرِهِ..23.

فخـــرير النهـــر الذي هـــو في الـــواقع ذو صـــــوت رقيـــق عـذب أصبـــح يعبـــر لديـــه عن شكـــوى حزينـــة ، و من بيـــن أروع القصـــائد التي تمثـــل امتـــزاج الشـــاعر بالطبيعـــة ، وجعلهـــا معـــادلا موضوعيـــا ، قصيـــدة الجبـــل لابن خفـــاجة و التي ستقـــف عندهـــا في الفصل المقبـــــل.

و هكذا فهذا الحس الجمالي الذي رأينـــاه هـــو إحدى مظـــاهر البيئـــة الأندلسيـــة ، حيث أن جمـــالها و روعتهـــا انعكســـت على شخصيـــة الأندلسي لتكون له حســـا و ذوقـــا جماليا،وأخـــذ الشعراء يضيفـــون هذا الحس على قصائدهم ، فينطلقـــون الكلمـــات و الأساليب المناسبـــة لإضفاء تلك الجماليـــة على قصـــائدهـــم .

هـــذا و إذا مـــا تفحصنـــا شعر الطبيعـــة مرة أخـــرى ألفينـــاه يكشف لنـــا عن تجل آخـــر ، إنه تجـــل الواقـــع الاجتماعي هذا الواقع "ذو الجـــو المديني المشحـــون بالفســـق و المجـــون والتهتـــك الأخـــلاقي و الخلاعـــة ، والعبـــث الجري ء و الذي جاء كنتيجة لكثافة التمركز البشري و تبايـــن أفراد المجتمـــع و اختلاف اتجاهاتهم و تعـــدد مشاربهم و ضعـــف الـــوازع الديني في نفوسهـــم ".24. و هذا ما جعـــل النفـــوس تهـــرب من هذا الواقع إلى اللهـــو و المتعـــة بشتـــى أنواعهـــا، هذا فضـــلا عن مخلفـــات التحضـــر .

- يقـــول أبـــو شهـــاب المالقـــي في وصـــف منتـــزه :-

وَ يَوْمٍ لَنَا بِالسَّدِّ لَوْ رُدَّ عَيْشُـــهُ ** بِعَيْشَةِ أَيَّامِ الزَّمَانِ رَدَدْنَاهُ
بَكَرْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ شَرْقِهَا ** إِلَى أَنْ أَجَابَتْ إِذْ دَعَا الغَرْبُ دَعْوَاهُ
قَطَعْنَاهُ شَدْوًا وَاعْتِنَاقًا وَ نَشْـــوَةً ** وَرَجْعَ حَدِيثٍ لَوْ رَقَى المَيْتَ أَحْيَاهُ
عَلَى مِثْلِهِ مِنْ مَنْزِهٍ تُبْتَغَى المُنَـــى ** فَيَالَكَ مَـــا أَحْلَى وَ أَبْدَعَ مَرْآهُ
لِأَنْ بَانَ إِنَّا بِالأَنِينِ لِفَقْـــدِهِ ** وَ بِالدَّمْعِ فِي إِثْرِ الفِرَاقِ حَكَيْنَاهُ.25.

فها هنـــا يقف الشـــاعر ليصـــف لنا يوما قضـــاه رفقـــة أصحـــابه في لهـــو و متعـــة في منتـــزه الســـــد ، ومن خلال هذا الوصـــف تبرز لنـــا بعض مظـــاهر اللهـــو و التـــرف ، من خمـــر و شـــدو و نشـــــوة، و التي كـــان يمارسهـــا الأندلس يون في حيـــاتهـــم الاجتماعية، و التي لا هـــمّ لأحـــد فيهـــا ســـوى "كـــأس يشربها و قينـــة تسمعـــه و لهـــو يقطـــع به أيـــامه ".26.

و يقـــول ابن سهـــل.27. في إحـــدى قصـــائده :-

حَثَّ الكُؤُوسَ وَ لَا تُطِعْ مَنْ لَامَا** فَالمُـــزْنُ قَدْ سَقَـــتِ الرِّيَـــاضَ رِهَـامَا
وَالدَّوْحُ مَيَّادُ الغُصُـــونِ كَأَنَّهَـا** شَـــرِبَ النَّبَـــاتُ مِنَ الغَمَامِ مُـــدَامَا.28.

فها هنـــا يشبه المطر النازل م الغمام بالخمـــر فتسكـــر النبـــات ، بـــل و يحـــل لنفســـه شرب الخمـــر اقتـداءا بما يفعلـــه الغمـــام هـذا يشيـــر إلى حـــالة الدّيـن حيث تنتهـــك حرمتـــه .

ثـــم يقـول الشـــاعر في وصـــف زهـــــرة الخيـــــري :

خَيْرِيَّهَا يُخْفِـــي شَمِيـــمَ نَسِيـمَهُ ** لِنَهَـــــــارِهِ وَ يُبِيحُـــــهُ إلا ظَـلَامَـا
فكأنَمَـا ظَـنَ الدجنّـة نفحـــــة ** فَبَـدَا يُعَـــارِضُ عَرْفَهَـــا الْبَسّـــامَا
أوْ كَالكَعْـكَـابِ تَبَرَّجَتْ لِخَلِيلِهَـا ** فِي اللَّيْـلِ و ارْتَقَبَـتْ لَـــــهُ إلا لُمَـامَا
فَـإِذَا رَأَتْ وَجْهَ الصَّبَـاحِ تَسَتَّرَتْ ** خَـوْفَا و صَيَّـــرَتِ الجُفُـــونَ كِمَامَـا.29.

و هنـــــا يتجلـــى لنـا مظهـــــر من مظـاهر المجـون و هـو الخلـة فهو يشبـه زهـرة الخيـريّ، التي يفـوح طيب رائحتـهـا في الليـل و ينقطـع في النهـار، يشبهها بالجارية الحسناء التي تتبرج لخليلها ليـلا و تتستـــر بالنهـــار .

و نلاحظ في أوصـــاف الطبيعـــة، كثرة تشبيهـــها بالمرأة، وذلك لأن "المرأة صورة من محاسن الطبيعة و الطبيعة تجد في المرأة ظلهـا وجمـالها و لـذا كانت الحبيبـــة روضـــا و جنـة و شمســـا ".30.

و من خلال كل ما سبـق يجدر بنـا القـول أن شعـر الطبيعـة قد عكس لنـا تجليـات السلـم و الاستقرار السياسي الذي كانت تعيشه الأندلس، وهـذا ما أثبتتـه أوصـاف الطبيعـة وأظهـرته من خـلال اللغـة، ثـم إنـه لـولا الأمـن ، لمـا استطاع شخص التمتع بجمـال الطبيعـة أو التحدث عنـــه .

2) رثـاء المدن والممالك الزائلة:

يقول ابن إسحاق إبراهيم بن الدباغ الأندلسي الاشبيلي مصورا ما أصـاب مواطنيه من كوارث بعد معركة العقـاب

وَ قَـائِلَةٌ أَرَاكَ تُطِـــيـلُ فِكْـــرَا ** وَ كَـأَنَّكَ قَدْ وَقَفْـــتَ لَدَى الحِسَـابِ
فَقُـلْتُ لَهَـا أُفَكِّرُ فِي عُقَـــــابٍ ** غَـدَا سَبَبَـــا لِمَعْرَكَةِ الْعُقَـــــابِ
فَمَـا فِي أَرْضِ أَنْدَلُـــسٍ مُقَـــامٌ ** وَقَـدْ دَخَـلَ البَـــلَى مِنْ كُلِّ بَـابِ.31.

معركـــة العقـــاب سنـــة 609 هـ ، هي السبـب الرئيسي في انتشار عقـد الأندلس حيث أضحـــى بعدهـا الطريق مفتـــوح للنصـارى ليأتوا على بقيـــة المدن الأندلسيـــة التي سرعـــان ما أخذت تتسـاقط تبـاعا في أيـدي النصـــارى فسقطت اشبيليـــا ، و قرطبـــة و بلنسيـا وغيرها من المدن و لم تبق ســـوى غرنـاطة و بعض أعمـالها .32. إلى أن سقطـت هي الأخرى و رحل آخر ملك

مسلم عن قصر الحمراء... في اليوم الثاني من ربيع الأول سنة 897 هـ، الموافق للثاني من يناير سنة 1492م .33. فقد بنى الأندلس يون بالأندلس مجدا وعزا و قلعة حصينة و أحبوا طبيعتها حبا جما، فعاشوا في حضارة كلها دعة وسلام فنحوا نحو اللهو و المتعة و المجون، ولكن لكل شيء إذا ما تم نقصان فقد بدأ هذا المجد يؤول إلى الفقد و الزوال، فألم ذلك شعراء الأندلس فحملوا أقلامهم "فغمسوها في مداد نفوسهم الحزينة وراحوا يبكون أيامها الماضية و ذكرياتها التي تحز في أفئدتهم و رفعوا أصواتهم داعيين إلى الاستنفار المستمر".34. و هذا ضمن أشعار تدخل في نطاق فن رثاء المدن والممالك الزائلة و الذي يعرف بأنه " تلك الآثار الأدبية التي وصلت إلينا من جراء انعكاس الحوادث التاريخية أو السياسية على الأدب سواء في ذلك النثر و الشعر".35. و قد عكست القصائد التي تنظمت لرثاء المدن الأندلسية حب الاندلسيين الشديد لموطنهم و مدنهم بالأخص و يظهر ذلك من خلال تعبيرهم عن حزنهم العظيم لفقد وطنهم، و قد حزنوا عليها حزن العاشق الولهان لفراق حبيبته كما في قول أبو البقاء الرندي .36.

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِن أَسَفٍ ** كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَةٍ ** قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ.37.

- و حزن الأم الثكلى التي فقدت وليدها :

لِلثُّكْلِ كَيْفَ تَبَسَّمَ الثُّغُورُ * * سُرُورًا بَعْدَمَا يَنِسَتْ تُغُورُ.38.

و بكوا على ما كان يحويه ذلك الوطن من معالم ورموز حضارية ممثلة في المسجد و المأذنة و العقيدة الدينية والتي تحولت إلى مسيحية ، حيث يغدو المسجد كنيسة و يحل الصليب محل المأذنة والتثليث بديل للتوحيد وغير ذلك، و كذلك بكوا على الرموز المعنوية كالثقافة والعلم .39.

يقول الرندي في مرثيته معبرا عن تحول المساجد إلى كنائس

حَيْثُ المَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا ** فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
حَتَّى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ **حَتَّى المَنَابِرُ تَرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ.40.

و يعبر عن هذا التغيير شاعر مجهول يرثي طليطلة فيقول :

وَكَانَتْ دَارَ إِيمَانٍ وَعِلْمٍ ** مَعَالِمُهَا الَّتِي طُمِسَتْ تَنِيرُ
فَعَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً ** قَدِ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِهَا الأُمُورُ
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ أَيَّ قَلْبٍ** عَلَى هَذَا يَقَرُّ وَ لَا يَطِيرُ.41.

هذا و قد تحسر الشعراء أيضا على المدن الجميلة العظيمة التي سقطت فهذا الرندي يذكر كل مدينة بأجل صفاتها و أشهر معالمها حيث يقول :

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَأْنَ مُرْسِيَةٍ**وَ أَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ
وَ أَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ العُلُومِ فَكَمْ ** مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَأْنُ
وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ **وَ نَهْرُهَا العَذْبُ فَيَّاضٌ وَ مَلْآنُ
قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ البِلَادِ فَمَا** عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ.42.

ومن أروع ما قيل في هذا المجال ما قاله شاعر مجهول عن الأندلس و مدنها بعد سقوط الأندلس كليا، حيث أن المنازل و الديار و البطائح و المدائن في حداد و أسى و حزن بعد فرح وانبساط وحياة جميلة، و يذكر المدن الأندلسية في صورة حزينة و حقيقية فيقول :-

لِأَنْدَلُسٍ ارْتَجَّتْ لَهَا وَ تَضَعْضَعَتْ**وَحَقَّ لَدَيْهَا مَحْوُهَا وَدُثُورُهَا
مَنَازِلُهَا مَصْدُوعَةٌ وَبِطَاحُهَا ** مَدَائِنُهَا مَوْثُورَةٌ وَثُغُورُهَا
تَهَائِمُهَا مَفْجُوعَةٌ وَنُجُودُهَا** وَأَحْجَارُهَا مَصْدُوعَةٌ وَصُخُورُهَا
وَ قَدْ لَبِسَتْ ثَوْبَ الحِدَادِ وَ مُزِّقَتْ ** مَلَابِسُ حُزْنٍ كَانَ يُزْهَى حُبُورُهَا
فَأَحْيَاءُهَا تُبْدِي الأَسَى وَجَمَادُهَا ** يَكَادُ لِفَرْطِ الحُزْنِ يُبْدُو ضَمِيرُهَا
فَمَائِقَةُ الحَسْنَاءِ تُكْلِي آسِيفَةً**قَدِ اسْتَفْرَغَتْ ذَبْحًا وَقَتْلًا حُجُورُهَا
وَجُزَّتْ نَوَاصِيهَا وَ شُلَّتْ يَمِينُهَا ** بَدَلٌ بِالوَيْلِ المَدِينِ سُرُورُهَا
وَ قَدْ كَانَتِ الغُرْبِيَّةُ الجُنَنُ التِي** تَقِيهَا فَأَضْحَى جُنَّةَ الحَرْبِ سُورُهَا.43.

ثم يتحدث عن بلش و يحن إلى المنكب و يبكي غرناطة المنكسة أعلامها ذات المنير و السرير الذارفين العبرات و يذكر بسطة و لا ينسى المرية موطن آباءه وديار أهله .

و قد أظهر شعر رثاء المدن شخصية الأندلسي، و قد تغيرت حاله هو أيضا فقد غدا ذليلا ضائعا حيرانا تغزوه مشاعر الحزن والكآبة لعظيم فقده، و هذا ما صورته مرثية الرندي حيث تقول :-

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمُ ** أَحَالَ حَالَهُمُ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ** وَ اليَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ ** عَلَيْهِمُ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
وَ لَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمُ ** لَهَالَكَ الأَمْرُ وَ اسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ.44.

فهكذا هي إذن حالة الأندلسي المهزوم المغلوب على أمره .. فليس هناك أظلى من الذل و المهانة ،هذا وهناك صورة أخرى سلبية لهذا الشخص فهو شخص ضعيف و جبان لا يذود عن وطنه كأي فتى يغار على وطنه كما عبر عن ذلك الرندي في مرثيته بقوله :-

تَخُورُ إِذَا دُهِينَا بِالرَّزَايَا ** وَ لَيْسَ بِمُعْجَبٍ بَقَرٌ يَخُورُ
وَ تَجْبُنُ لَيْسَ نَزَّارٌ لَوْ شَجُعْنَا ** وَ لَمْ نَجْبُنْ لَكَانَ لَنَا زَئِيرُ
لَقَدْ سَاءَتْ بِنَا الأَخْبَارُ حَتَّى ** أَمَاتَ الْمُخْبِرِينَ بِهَا الْخَبِيرُ
رَضُوا بِالرِّقِّ بِاللَّهِ مَاذَا ** رَآهُ وَمَا أَشَارَ بِهِ مُشِيرُ.45

و شاعر آخر يقول :-
لَبِسُوا الْحَدِيدَ إِلَى الْوَغَى ** وَلَبِسْتُمْ حُلَلَ الْحَرِيرِ عَلَيْكُمُ أَلْوَانَا.46

و قد قيل هذا البيت في أهل بلنسية ، حيث انه احتلت مدينة قريبة منها تدعى " طرنة "
و لكن أهل بلنسية لم يأخذوا العبرة منها و كانوا لا دراية لهم بفنون القتال وواصلوا في لهوهم و عبثهم إلى أن أتى عليهم الدور و لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ، فسقطت مدينتهم، و هذه الحال هي من مخلفات التحضر فقد ورد عن ابن خلدون في مقدمة ، أن أهل الحضر نظرا لانغماسهم في اللهو و الترف و المتعة ، فهم يستكينون إلى هذه العيشة و مع طول الزمن تصبح هذه الدعة و السكون متأصلة فيهم فلا يستطيعون المحاربة . و لم يكن الشعب الأندلسي هو وحده المذنب بل أيضا الحكام فقد كانوا هم الآخرون أو بعضهم قد استكانوا للترف و اللهو والدعة بين أسوار قلاعهم وجلودهم يقول أبي الحسن ، بن المجد في ملوك الطوائف :-
أَرَى الْمُلْكَ إِصَابَتَهُمْ بِأَنْدَلُسٍ ** دَوَانِرُ السُّوءِ لاَ تَبْقِي وَ لاَ تَذَرُ
نَامُوا وَ أَسْرَى لَهُمْ تَحْتَ الدُّجَى قَدَرٌ ** هَوَى بِأَنْجُمِهِمْ خَسْفًا وَ مَا شَعَرُوا
وَكَيْفَ يَشْعُرُ مَنْ بِكَفَّيْهِ قَدَحٌ ** تَحْدُو بِهِ مَلْهِيَاهُ النَّايُ وَالوَتَرُ.47

و شاعر آخر يقول :-
الرُّومُ تَضْرِبُ فِي الْبِلاَدِ وَتَغْنَمُ ** وَ الْجُورُ يَأْخُذُ مَا بَقِي وَ الْمَغْرَمُ
وَ ذَوِي التَّعَيُّنِ لَيْسَ فِيهِمْ مُسْلِمٌ ** إِلاَّ مُعِينٌ فِي الْفَسَادِ مُسَلِّمُ
أَسَفًا عَلَى تِلْكَ الْبِلاَدِ وَ أَهْلِهَا ** اللَّهُ يَلْطُفُ بِالْجَمِيعِ وَ يَرْحَمُ.48

هذا و قد كانت المرأة هي الأخرى لها نصيب في النكبة الأندلسية فقد هتك عرضها و قادها العدو إلى المحرمات رغما عنها و هي الحرمة التي صانها الإسلام و عدها من الذين يدافعون عنهم في الحرب يقول رائي طليطلة :-
أُدِيلَتْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ كَانَتْ ** مَصُونَاتٍ مَسَاكِنُهَا الْقُصُورُ
وَأَدْرَكَهَا فُتُورٌ فِي انْتِظَارٍ ** بِسُرْبٍ فِي لَوَاحِظِهِ فُتُورُ
وَ كَانَ بِنَا وَ بِالْقِينَاتِ أُولَى ** لَوْ انْضَمَّتْ عَلَى الْكُلِّ الْقُبُورُ.49

و يقـــــول الـــــرندي :-
وَطِفْلَةٍ مِثْلُ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ ** كَأَنَّمَـــــا هِـــــيَ يَاقُـوتٌ وَمُرْجَـانُ
يَقُودُهَا العِلْـجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَـــةً**وَالعَيْـــنُ بَاكِيَـــةٌ وَالقَلْبُ حَيْـــرَانُ.50.

وَ قَـــــدْ هَـــــال الشعراء أمـــــر بلدهـــــم المنكوب ، فالمفقود فكانوا دائمي الاستنجاد بالمسلمين في اسقـاع العالم، باسم الإسلام ومبـادئه التي تدعو المســـلم لإعانة أخيه المسلـم و الذود عن أرض الإسلام، يقول أحد الشعـراء المجهولين في مرثيـــة للأندلس بعد سقـوطها كليـــا و هو يستنجـد بالمسلمين داعيا للجهاد في سبيل الله .

مَعَاشِرَ أَهْـــلِ الدِّيـنِ هُبُّـوا لِصَقْعَةٍ ** وَ صَاعِقَـــــةٍ وَارَى الْجُسُـومَ ظُهُـورُهَـا
أَصَابَتْ مَنَارَ الدِّيـنِ فَانْهَدَّ رُكْنُـــهُ ** وَ زَعْـــــزَعَ مِنْ أَكْنَـافِهِ مُسْتَطِيرُ هَا
أَلاَ وَ اسْتَعِدُّوا لِلْجِهَـادِ عَـزَائِـــمٌ ** يَلُـوحُ عَلَى لَيْلِ الوَغَـــى مُسْـتَنِيرُهَا
بِأَنْفُسِ صِدْقٍ مُوقِنَـــاتٍ بِأَنَّهَـــا ** إِلَى اللهِ مِنْ تَحْـتِ السُّيُـــوفِ مَصِيرُ هَا
تَـرُومُ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ عَرَائِـــسًا ** عَلَى اللهِ فِي ذَاكَ النَّعِيـــمِ مَهُـورُهَا.51.

فها هنـــا ينهج الشـاعر نهجـا إسلاميا في دعوتـه و هذه الظاهرة نجدهـا في جـل المراثي التي قيلت في المدن و الممالك الأندلسيـة.
هكذا ومن خلال كل ما سبق تبدوا لنا تجليات الحرب و استشعار أوان الرحيـــل و هذا من خلال التبديل الذي وقع للرموز الحضارية في الأندلس،والإذلال الذي أصاب الأندلس يون بعد عزهم و هتك حرومانهم،و كذا استنجادهم بإخوانهم في الدين، وحزنهم و تألمهم العميـــق لشعورهم بفقد وطنهم العزيز الذي انعكس في قصـــائدهم من خلال النبرات الفلسفية التي نجدهـا في مطالع بعض القصائد و كذا إرجاع الأمر إلى القضاء ة القدر. ولابأس أن نضرب مثلا ها هنا بقصيدة الرندي حيث يقـول :-

لِكُـلِّ شَيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَّ نُقْصَـــانُ ** فَلاَ يَغُـرَّ بِطِيـــبِ العَيْشِ إِنْسَـانُ
هِـيَ الأُمُـورُ كَمَا شَـــاهَدْتَهَا دُوَلٌ ** مَنْ سَـرَّهُ زَمَـــنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَـانُ
وَ هَـذِهِ الـدَّارُ لاَ تُبْقِي عَلَى أَحَـدٍ ** وَ لاَ يَـــدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَـا شَأْنُ
أَيْـنَ الْمُلُوكُ ذَوُوا التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ** وَأَيْـــنَ مِنْهُـمْ أَكَالِيـلُ وَ تِيجَانُ
وَأَيْنَ مَـا حَـازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَـــبٍ ** وَ أَيْـنَ عَـــادٌ وَشَـــدَّادٌ وَ قَحْطَانُ.52.

فها هنـا يقف الشاعر و قفة تأمله للكون و الحيـاة فينظر إلى حقيقة الزمن و ثنائية الموت و الحيـاة ليخلص إلى حكمة حياتية و إلى ناموس الكون، هـــو أن كل شيء إذا ما تـم ينقـص ثـم يعود بذاكرته ليقلب صفحات التاريخ و التي تنطبق عليها الحكمة ذاتهـا .

1. المقري نفح الطيب - ج1ص 133 -136
2. احمد هيكل الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة دار المعارف القاهرة ط8- 1982م ص 13-14
3. عبد العزيز عتيق الأدب العربي في الأندلس ص 11-12
4. نفح الطيب ج1 ص190
5. المصدر نفسه ص 125-126
6. لوتريق ملك كان على اسبانيا بعد اغتصابه للعرش القوطي بعد وفاة الملك غتشعلت
7. جودت الركابي في الأدب الأندلسي دار المعارف القاهرة د.ت ص 16-20
8. المرجع نفســـه ص 20-24-30 .
9. موجز دائرة المعارف الاسلامية مركز الشارقة ج5 ص 1295 وجودت الركابي في الأدب الأندلسي ص 14-31.
10. مصطفى قصير حول الأدب الأندلسي دار الأشرف بيروت لبنان د.ت ص 35
11. المرجع نفســه ص 35-36-37
12. المرجع نفســه ص 34-35
13. في الأدب الأندلسي ص 44
14. المرجع نفســه ص 44
15. الأدب الأندلسي ص 39
16. في الأدب الأندلسي ص 37-38.
17. النفح ا ج1 ص205 .
18. ابن حمديس 447 هـ/527 هـ هو ابو محمد بن عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي ولد بصقلية وتوفي بجزيرة الأندلس و قد اشتهر بالوصف (محمد التنوجي المعجم المفصل في الأدب ص 20.
19. في الأدب الأندلسي ص 138.
20. حصن هي مدن شبيلية و سميت بذلك لنزول جنود حصن الشام بها .
21. فوزي سعد عيسى دراسات في الأدب المغربي و الأندلسي دار المعرفة الجماعية 2000 ص 9-10
22. المرجع نفســه ص 17 .
23. في الأدب الأندلسي ص 103.
24. دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر ص 54
25. نفح الطيب ج1 ص 476.
26. محمد رضا الشبيلي أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية و نصوصه العربية دار قرأ للنشر والتوزيع والطباعة ط2 بيروت 1984 ص 74 عن قادة عقاق دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر ص 64
27. ابن سهل الاشبيلي 609 هـ/659هـ و هو ابراهيم ابن سهل الاشبيلي ولد بمدينة اشبيليا و اشتهر بالشعر و الموشح (محمد رضوان الداية ، الأدب العربي في الأندلس و المغرب ص 213 .)
28. محمد رضوان الداية الأدب العربي في الأندلس و المغرب مطبعة جامعة دمشق 1983-1984. ص 214
29. المرجع نفسه ص 215.
30. في الأدب الأندلسي ص 132.
31. يوسف عيد ، الشعر الأندلسي و صدى النكبات دار الفكر العربي بيروت ط1 2002 ص 25.
32. دراسات في الأدب المغربي و الأندلسي ص 34.
33. مصطفى السلعاوي ، الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه دار العلم للملايين بيروت ط9 1997 م ص 512.
34. الأدب العربي في الأندلس و المغرب ص 274
35. المرجع نفســه و الصفحة نفسهـا.
36. أبو الطيب الرندي 601-684هـ، و هو صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي كنيته أبو البقاء (محمد رضوان الداية الأدب العربي في الأندلس و المغرب) ص 222-223.
37. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص 552
38. المرجع نفســه ص 515 وهذا مطلع قصيدة لشاعر مجهول يرثي فيها طليطلة .
39. الشعر الأندلسي و صدى النكبات ص 20
40. مصطفى السلعاوي الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه ص 552
41. المرجع نفســه ص 516.
42. المرجـــــــع نفســه ص 551.
43. المرجع نفســه ص 557-558-559.

44. المرجع نفسه ،ص 554
45. المرجع نفسه،ص 518
46. المرجع نفسه،ص 521.
47. الشعر الأندلسي و صدى النكبات،ص 27
48. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه،ص 510
49. الشعر الأندلسي وصدى النكبات ص 33
50. الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه،ص 454
51. المرجع نفسه ص 559.
52. المرجع نفسه،ص 549 -550

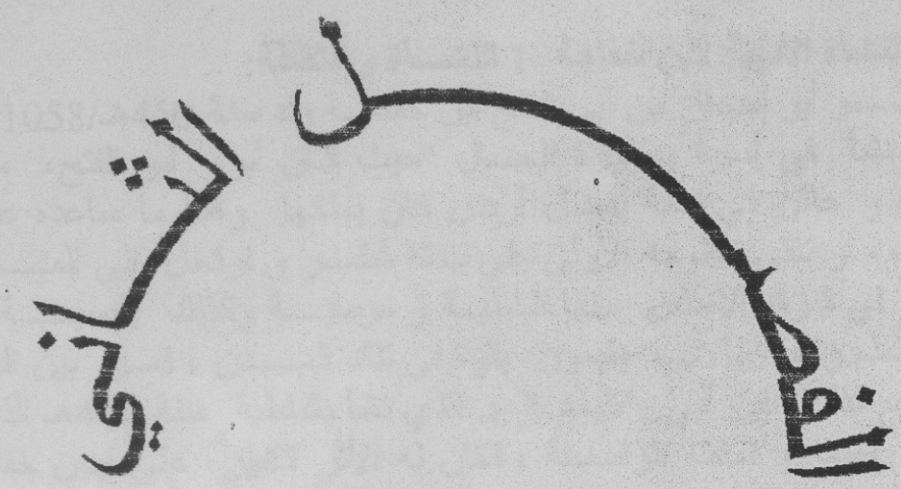

تجليات المكان عند ابن خفاجة

أولا: النشأة الأدبية لابن خفاجة

ثانيا: تجلي المكان عند ابن خفاجة

الفصـــــــل الثـــــاني : تجليـــــــات المكـان عند ابن خفاجـــــة

أولا : النشأة الأدبية لابن خفاجة -1 النشـــأة و الثقافة:

هـــــو أبو إسحاق ابن أبي الفتح ابن خفاجـة ولد سنة 450هـ/1058 م في جزيرة شقـر، نشأ في أسرة ميسورة الحـــال حيث كـان أبوه أبو الفتح، من أعيـــان المدينة، و عاش في سعة بفضل أرض كان يملكها وهذا ما ساعده على الثقافة و التعلـــم، و تلقى علومه الأولى في بلدته شقـــر و ارتحل إلى المـــدن المجاورة لبلدتـه في شرق الأندلس منها شاطبـة و مرسيـــة وكذلك بلنسيـــة ، حيث كان رجال العلم والفقه والأدب يقيمون بقوة في تلك المـــدن ، فمـن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم نذكر ابن أبي "تليـد " .1 الذي نشأ بشاطبة سنة 444هـ الذي كان مثار إعجاب بعلمه و ثقافته الواسعـة ، فكان له الأثر الكبير على ابـن خفاجة وغيـره إضافة إلى انـه كان شاعرا و كاتبـا . الفقيـه أبو بكر بن الأسـود .2 و قد أثـر في شاعرهـــا .

كان رجال العلم والفقه والأدب يقيمون بقوة في تلك المـــدن ، فمـن بين الشيوخ الذين أخذ عنهم نذكر ابن أبي "تليـد " .1 الذي نشأ بشاطبة سنة 444هـ الذي كان مثار إعجاب بعلمه و ثقافته الواسعـة ، فكان له الأثر الكبير على ابـن خفاجة وغيـره إضافة إلى انـه كان شاعرا و كاتبـا . الفقيـه أبو بكر بن الأسـود .2. و قد أثـر في شاعرهـــا حتى أنه أصبح روايـــة لأستـاذه .

.ومن مشايخه في التكوين الأدبي نذكر: ابن صـــواب .3 الذي اتصل به ابن خفاجة في ريعان شبـــابه حوالي 470هـ و كان ابن صواب طبيبا وقيل ذلك شاعرا و أديبا، و قد خصه ابن خفاجة فيما بعد بقصائد يبوح فيهـا بعواطفه الودية، معترفا للأستاذ بفضله الجزيل .4.

و قد غلب على ابن خفاجة قرض الشعر و العناية بالأدب، كما كانت له اهتمامات أخرى في اللغة والرواية والحديث،وهذا ما أثبته في مقدمة ديوانه حيث يقول:" أنني كنت و الشباب يرفّ غضـارة، و يخف بي غرارة، فأقوم طـورا و اقعد تـارة، قد جنحـت إلى الأدب ارتـاده مرتعـا، و أرده مشرعـا فما تصفحت مثل شعر الرضا.5 ، و مهيـار الديلم.6. و عبد المحسـن الصنوبر.7. و من حذا حذوه ومن أخذ مأخذه،حتى تملكني من تلك المحاسن الرائعة الرائقة والألفاظ الشفافة الشائقـة ما يناسب بـرد الشبـاب رقـة و بـرد الشراب ريقـة، فما كان إلا إن ملت إليه وأقبلت عليـه أروقه، وأرويـه، وأحاول التشبه بواحد واحد فيه".8. فها هنـا يؤكد على اهتمامه بالأدب و كذلك بذكر الشعراء المشارقة الذين تأثر بهم .

و قد ترجم له بن سعيد في المغرب ، و أدرجه صديقه بن خاقان في قلائده باعتباره من نبهاء و فحـول الشعر ، و ذكره ابن الأبار في معجمه و تكملته و غيره كثير.9.

2- **المـــوطن و البيئـــة** : جزيرة شقـر هي موطن الشاعر بن خفاجة، وهي توجد على مسافة 18 ميـلا من بلنسيـة ، في الجنوب الغربي، و قد سميت جزيرة لأحاطة نهرها بهـا من جوانبها، وقد وصفها المؤرخ عبد المؤمن الحميري في أواخر القرن السابع الهجري "وهـي حسنة البقعـة كثيرة الأشجار و الثمار الأنهار و بها أنـاس، وجلـة، وبها جامع ومسـاجد و فنادق و أسواق، و قد أحاط بها الوادي، و المدخل إليها في الشتاء على المراكب،وفي الصيف على محاصة" فهذه المدينة الصغيرة الغنية الرائعة المناظر المتمتعة بطقس متميز مثالي،لأنها محمية عن الرياح الداخلية بجبال عالية اتجاه البحر المتوسط و هي بذلك أنزه المدن من ناحية هـوائها و عـذوبة العيش فيها. ففي هذه البيئـة نشـأ وترعرع و شـاخ شاعرنا المولع و العاشـق للطبيعـة منذ نعـومة أظافره...10.

3- **مـــــــــلامح شخصيـــــة** :

لقـد عاش ابن خفاجة في جزيرة شـقر ذات المناظر الطبيعية الجميلة و المظاهر الخلابة ، فلم يرتحل عنها كثيرا إلا إلى المدن المجاورة لها كمرسيـا و شاطبة و بلنسيـة ، ويذكر المقـري في نفحـة، أن شاعرنا سافر مـرة إلى العدوة و نزل بمدينـة من مـدن سواحل المغرب، و من الأسباب التي جعلته لا يقوم برحـلات كثيرة صحته المعلولة، حيث كـان نحيفا و لا يتحمـل مشـاق السفر..و قد بدأ حياته بنظم الشعر موهبة ، وطابعا فرغم تهافت ملوك الطوائف على الأدباء و الشعراء عارضين عليهم أموالا كثيرة لا ستمالتهم ، لم يرضخ لهم وهذا لأنه كان في سعـة و رغـد من العيش فقد كانت له ممتلكات خاصة جعلته لا يتذوق مرارة الاحتياج هذا وقد كان يتميز بصفتين متميزتين، تتمثلان في الهمـة و الشهامة، وهذا ما جعله يتشبث بحرية و يحافظ عليها.11.

و لم يلبث أن عرف الجور في عهد المرابطين و أحمّ بعبء الهموم و السنين ، عندئذ فرض على نفسه، رغم ألفته وحبه لحريته سلوكا جديدا في الحياة ، فبذل جهودا للبحث عن أمير أو وزير يحميـه في شيخوخته حتى لا يذوق مرارة الحاجة، فنظم القصائد الطويلة في مدح الأقوياء و عزتهم و قوتهم..12. و نتيجة لرغد العيش الذي كان يعيشه في أيام حريته، فقد كان مرهف الإحساس بالغ التأثر،و من مظاهر ذلك رغبته في الانتقاء و التخيّر ، فقد نقل الضبيبي انه كان يأتي إلى الذي يبيع الفاكهة فيساومه ، فإذا سمي له عددا أو وزنـا نقص من ذلك العدد أو الوزن شرط أن يختار ما أحب بيـده ، وهذا الاختيار الدقيق يفسر لنـا جوانب من أسلوبه في شعره ونثره. وقد كان يخشى الموت كثيرا حتى أن هذه الفكرة ، قد ترددت في شعـره أكثر من مرة و لعل طول أجله ، ووفـاة أصحابه عنه و احدا تلو الآخر،زاده من هذا الشعور، فكان يخرج إلى الجبال القريبة فإذا صار بين جبلين نادى بأعلى صوتـه:يا إبراهيم تمـوت: فيجيبه الصوت و لا يزال كذلك حتى يخـر مغشيـا عليه .

وقد مرت حياته بفترتين متميزتين ، حيث قضى شطرا من حياته في لهو وتيف و مجون و هو لم يتزوج قط، ثم انصرف إلى الزهد و التوبة، و غادر ملذات الدنيا و اعرض عن قول الشعر ، لو لا مجيء الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف فمدحه إعجابا ، وكان جمعه لديوانه في هذه المرحلة الثانية .13.

4- **شيخوخته ووفاته** :

و هكذا عمّر شاعرنا 83 سنة ، تعرض في غضونها لشتى صروف الحياة الخيّرة منها و الغير خيّرة، فكان في صباه لاهيا مستمتعا بملذات الحياة و في شيخوخته على حال من الوحدة و التفرّد و الزّهد و الانصراف إلى عبادة الله والذود إلى الطبيعة، و كذا استقبال تلاميذه و محبيّه و أصدقاءه إلى أن مات، فنظّم في هذه الفترة عدة قصائد ، جسّد فيها زهده في الحياة و يأسه منها ، فها هو وقد بلغ الإحدى والثمانين من عمره أي قبل وفاته بسنتين ، يقول حين سأله أحدهم :-

أيّ أنس أوْ غداء أو سنة ** لابن إحدى وثمانين سنة
قلّص الشيب منها ذيل إمرئ ** طالما جرّه صباه رسنة
تارة تخطو به سيئة ** تسخن العين و تارة حسنة

و قد ظل وحيدا يرقب رحلته الأخيرة في قلق و ترقب ، وكان إلفه لمرابع الصبا يذكره دائما بمن رحل عنه من أصحابه و من بقي، و هذا الإحساس كان يأخذه أحيانا إلى زيارة مقابر أصحابه ، و يناديهم فيها و يقول :-

فطال وقوفي بين نجد وزفرة ** أنادي رسوما لا تحير جوابا
و قد درست أجسامهم و ديارهم ** فلم أرى إلا قبورا و بيابا

* توفي في جزيرته " شقر" و دفن بها كما أوصى و ذلك سنة 553هـ/ 1138 م .14. تاركا ديوان شعر يعد من أحسن ما وصلنا من التراث الشعري الأندلسي .

[illegible] :

طبع الديوان عدة طبعات نذكر منها:-

* طبعة مصطفى النجاري القاهرة 1869 في جزء واحد يضم 135 صفحة .
* طبعة كرم البستاني : بيروت سنة 1951 جزء واحد في 351 صفحة .
* طبعة صادر : بيروت 1961 جزء واحد في 284 صفحة.
* طبعة مصطفى غازي الاسكندرية 1960 جزء واحد في 453 صفحة .

و الطبعة التي هي بين أيدينا هي طبعة صادر ، و هي تحتوي على ترجمة قصيرة لابن خفاجة وجاءت نصوصها مشكولة في بعض الأماكن، مع بعض الشروح اللغوية.
و جاء الفهرس مرتبا ترتيبا أبجديا حسب حروف القافية ، كما عنونت القصائد بعناوين مبتكرة و يضم هذا الديوان جميع الأغراض الشعرية ، من رثاء وغزل و مدح ، و خمريات ، و زهد... ، و التي تميزت باصطباغها بالطبيعة .15.

ثـــــــانيا: تجلـــــي المـــــكان عنـــد ابـن خفجـــــــاجة :-

"إكثـار هذا الرجل في شعرة من وصف زهرة ، ونعت شجرة ، وجريـة مـاء ورنـّة طائر، ما هو إلا لأنـه كان جانحا إلى هذه الموصفات الطبيعة فطر عليها، و جبلّة و إما لأن الجزيرة كانت داره، و منشأ قراره ، وحسبك من ماء سائح، و طير صادح و بطاح عريضة ، وأرض أريضة ، فلم يعدم هناك من ذلك ما يبعث مع الساعات أنسـه ، ويحرك إلى القول نفسه،حتى غلب عليه حب ذلك الأمر، فصار قوله فيه عن كلف لا تكلّف ، مع اقتناع قام مقام اتسـاع ، فأغنـاه عن تبدل و انتجاع".16. ... هكذا علل شاعرنا وقوفه الكثير عند الطبيعة و امتزاجه بها، لدرجة استعمالها في جـلّ أغراضه إن لم نقل كلها، حتى أنه تراس أجود مرحلة من مراحل شعر الطبيعة في الأندلس، ولشدة امتزاجه بها، فقد عاشـت معه في كل أوقاته ، في أفراحـه و أتراحه ، وكأنه ابنهـا.

ويمكن القول أن جنوحه الكبير نحو الطبيعة هو نتيجة للواقع، ذلك الواقع الذي تميـّز بجو مديني مفعـم بالترف باللهو و المتعة ، والعبث... فكان الشاعر يستخدم الطبيعة هروبا من هذا الواقع فالطبيعة عنده هي تلك الأم الرؤوم النقية ، الصافية انه مكان أليف ينتعش فيه الشاعر ، عكس المدينة، فهي مكان معادي له، فكما تقول سيـزا قاسم"إن الإنسـان ينتعش في بعض الأماكن و يذبل في بعضهـا طبقا لحاجتـه" .17.

فنحن إذا تصفحنـا الديوان، لا نكاد نعثر فيه على وصف للبنيـان أو القصور التي كانت تزخر بهما الأندلس و أعجـب بها الشعراء، باستثنـاء مجالس الأندلس و حانات الخمر، فقد عكس شعره الحياة اللاهيـة التي كان يعيشهـا، يقول و اصفـا مجلـس أنـس :-

سَقْيًا لِيَـوْمٍ قَـدْ أَنَخْـتُ بِسُـرْحَةٍ ** رَيَّا ، تُلَاعِبُهَـا الشَّمَـالُ ، فَتَلْعَـبُ
سَـكْرَى يُغَنِّيـهَا الحَمَـامَ فَتَنْثَنِـي ** طَـرَبًا ، فَيَسْقِيهَا الغَمَـامُ فَتَشْرَبُ
يَلْهُـو فَتَـرْفَعُ ، لِلشَّبِيـبَةِ رَايَـةً ** فِيـهِ ، وَ يَطْلَـعُ لِلْبَهَـارَةِ كَوْكَـبُ
وَ الـرَّوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرٌ ، وَ الظِّلُّ فَرْعٌ ** أَسْـوَدٌ ، وَ المَـاءُ ثَغْـرٌ أَشْنَـبُ
فِـي حَيْثُ أَطْرَبَنَـا الحَمَـامُ عَشِيَّـةً ** فَشَـدَا يُغَنِّينَـا الحَمَـامُ المُطْـرِبُ
وَاهْتَـزَّ عِطْـفُ الغُصْـنِ مِنْ طَرَبٍ بِنَا ** وَ افْتَـرَّ ، عَنْ ثَغْـرِ الهِـلَالِ المُغْـرِبُ
فَكَأَنَّهُ وَ الحِـسُّ مُقْتَـرِنٌ بِهَـا ** طَـوْقٌ عَلَى بَـرْدِ الغَمَامَةِ ، مُذْهَـبُ.18.

و كما نلاحظ فقد جعل أجزاء الطبيعة هي الأخرى في لهـو و شرب خمـر مثلـه، فالشجـرة سكـرى، و الغمـام هو سـاقي الخمـر و الحمـام تغنـي والأغصـان ترقص طربـا... و من الأشعـار التي قالها يعبر فيها عن حبـه لبلاده الأندلس قوله:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ لِلَّهِ دَرُّكُمُ ** مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَشْجَارٌ وَ أَنْهَارُ
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلاَّ فِي دِيَارِكُمْ ** وَ لَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ
لاَتَخْشَوْا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرَا ** فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ.19

فهو يعتبر ها جنّة ، كما أنه يتغنى بطبيعتها لا غير ، و لا يتوقف عند هذا ، بل و يصفها كما يصف الحبيب حبيبته ، حيث يقول:
إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالأَنْدَلُسِ ** مُجْتَلَى حُسْنٍ وَ رِيًّا ، نَفَسِ
فَسَنَا صُبْحِهَا مِنْ شَنَبٍ ** وَ دُجَى لَيْلِهَا مِنْ لَعَسِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَا ** قُلْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الأَنْدَلُسِ .20

و قد قال ابن خفاجة ، ان يرى ما أصاب بلنسية من تغيّر عندما عاد إليها بعد أن غادرها ، وأقام في المغرب مدة من الزّمن فقال : -
عَاثَتْ بِسَاحَتِكِ العِدَا يَا دَارُ ** وَ مَحَا مَحَاسِنَكِ اللِّيَالِي وَ النَّارُ
فَإِذَا تَرَدَّدَ فِي جَنَابِكِ نَاظِرٌ ** طَالَ اعْتِبَارٌ فِيكِ وَ اسْتَعْبَارُ
أَرْضٌ تَقَاذَفَتِ النَّوَى بِقَطِينِهَا ** وَ تَمَخَّضَتْ بِخَرَابِهَا الأَقْدَارُ
كَتَبَتْ بِيَدِ الحَدْثَانِ فِي عَرَصَاتِهَا ** لاَ أَنْتِ ، أَنْتِ، وَ لاَ الدِّيَارُ دِيَارُ.21

و هذا ما عثر عليه من قصيدة طويلة ، وكما نرى ، فالشاعر يبكي مدينته و بلدته كما كان الشاعر الجاهلي يقف على الأطلال ، فيد القدر قد امتدت إلى بلدته و أحالتها إلى خراب و من بين أروع القصائد التي تبرز لنا امتزاج الشاعر بالطبيعة قصيدة وصف الجبل ، حيث جعله مسرحا للحديث عن حياة الشيخوخة التي يعيشها و عكس هواجسه و مخاوفه فيقول :-
بِعَيْشِكَ هَلْ تَدْرِي ، أَهَوْجُ الجَنَائِبِ ** تَخُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظُهُورُ النَّحَائِبِ.22
فَمَا لَحْتُ فِي أُولَى المَشَارِقِ كَوْكَبًا ** فَأَشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى المَغَارِبِ
وَحِيدًا تَهَادَانِي الفَيَافِي فَأَجْتَلِي ** وُجُوهَ المَنَايَا فِي قِنَاعِ الغَيَاهِبِ.23
وَلاَ جَارَ إِلاَّ مِنْ حُسَامٍ مُصَمِّمٍ ** وَلاَ دَارَ إِلاَّ فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ.24
وَلاَ أُنْسَ إِلاَّ أَنْ أُضَاحِكَ سَاعَةً ** ثُغُورَ الأَمَانِي فِي وُجُوهِ المَطَالِبِ
وَ لَيْلٍ ، إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ بَادَ فَانْقَضَى ** تَكَشَّفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
سَحَبْتُ الدَّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبٍ ** لأَعْتَنِقَ الآمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ
فَمَزَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصِ أَطْلَسٍ ** تَطَلَّعَ وَضَّاحَ المَضَاحِكِ قَاطِبِ.25
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الفَجْرِ أَغْبَشًا ** تَأَمَّلْ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ
وَأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤَابَةِ بَاذِخٍ ** يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ.26
يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ** وَ يَزْحَمُ لَيْلاً شُهْبُهُ بِالمَنَاكِبِ

وُقُوفاً عَلَى ظَهْرِ الفَلاَةِ كَأَنَّهُ ** طَوَالَ اللَّيَالِي مُفكِّرًا فِي العَوَاقِبِ
يَلُوثُ عَلَيْهِ الغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ ** لَهَا مِنْ وَمِيضِ البَرْقِ حُمْرُ ذَوَائِبِ.27
أَصَحْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَصُ صَامِتٌ ** فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السُّرَى بِالعَجَائِبِ
وَقَالَ : أَلاَ كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلٍ ** وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ وَتَبَتُّلِ تَائِبِ.28
كَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبٍ ** وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ.29
وَلاَطَمَ مِنْ نَكْبِ الرِّيَاحِ مَعَاطِفِي ** وَزَاحَمَ مِنْ خَضْرِ البِحَارِ قَوَارِبِي
فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ طَوَتْهُمْ يَدُ الرَّدَى ** وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَائِبِ
فَمَا خَفَقَ أَبْكِي غَيْرَ رَجْفَةِ أَضْلُعٍ ** وَلاَ نَوْحُ وُرْقِي غَيْرُ صَرْخَةِ نَادِبِ
وَمَا غَيَّضَ السُّلْوَانُ دَمْعِي وَإِنَّمَا ** نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الأَصَاحِبِ
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى وَيُظْعَنُ صَاحِبٌ ** أُوَدِّعُ مِنْهُ رَاحِلاً غَيْرَ آيِبِ...؟
وَحَتَّى مَتَى أَرْعَى الكَوَاكِبَ سَاهِرًا ** فَمِنْ طَالِعٍ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ...؟
فَرَحْمَاكَ يَا مَوْلاَيَ دَعْوَةَ ضَارِعٍ ** يَمُدُّ إِلَى نُعْمَاكَ رَاحَةَ رَاغِبِ
فَاسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلَّ عِبْرَةٍ ** يُتَرْجِمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ
فَسَلِّي بِمَا أَبْكِي وَسَرِّي بِمَا شَجَا ** وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السُّرَى خَيْرَ صَاحِبِ.30
وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لِطِيَّةٍ ** سَلاَمٌ فَأَنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ.31...32

. و هذه القصيدة هي زفرة شيخ سئم الحياة و يتوق إلى الراحة .
و مطلع القصيدة يكشف لنا عن نفس حائرة متسائلة عن الحياة و ما يعتريها من مضرات و مسرات ، فالرّحل هي رمز للحياة الدنيا لأن الدنيا هي مطية للوصول إلى الآخرة ، أما الجنائب الهوجاء و ظهور النجائب فهي ما يواجه الإنسان من صروف الدهر، و هذا التساؤل و الحيرة هو من قبيل التفلسف، و قد" أشار أفلاطون وأرسطو إلى أن التفكير الفلسفي يبدأ بالتساؤل ".33. و القصيدة بهذا هي فلسفة للحياة، كما أن الفلسفة هي وليدة الغربة و هي لا تولد إلا من رحم الاغتراب على حد تعبير ولتر كوفمان .34. و هي ها هنا يتكشف لنا أن الشاعر مغزو بمشاعر الغربة و هذا ما يؤكده لنا البيت الثاني ، فهو وحيد تهاداه الفيافي المجدبة الموحشة و التي يتجلى في ظلماءها المنايا، و هذا التعبير يشير إلى موقف الشاعر من الكون و الحياة تبدو له فيافي و يزداد شعوره بالكآبة من هذا الوضع فيتسلى عنه نفسه بالأماني فهذه الحياة التي يعيشها حياة سوداء كلما ظن انه ستنفتح له الأبواب ويرى النور يجد نفسه مخدوعا و هذا ما يعبر عنه في البيت السادس.
ثم تأمل ليله هذا وأطال النظر والتأمل فيه ليتجلى منه بصيص الأمل و هذا في البيتين الثامن و التاسع فهكذا هي الحياة تخفي وراء ظلام صروفها الأمل في تغير الظلام إلى البياض ، فالشاعر قد استعمل القدرة الخيالية لديه ، ليجعل الطبيعة تعبر عنه فهو ممتزج بها أيّما امتزاج، و يواصل الشاعر في هذا

الامتزاج ، فيجعل الجبل معادلا موضوعيا له حيث يمتزج الشاعر بالجبل فيخرجه من دائرة الجمودية إلى دائرة الإحساس و الحيوية فهو إنسان يحس و يشعر يشكو صروف الدّهر.

فهو يصب كل المعاني التي ذكرها في الأبيات الأولى على الجبل فيبدأ في الوهلة الأولى يوصف هذا الجبل بصفات الطول و الارتفاع و العلو ، و القوّة وكذا صفات الشيخ الوقور الذي حلب الدهر أشطره و خبر الحياة ففي الأبيات 10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20. يمتزج الشاعر بالجبل فيضفي عليه كل المعاني و الصفات التي يمتلكها هو فالجبل هو ابن خفاجة و ابن خفاجة هو الجبل و ها هنا يستوقفنا سؤال عن سبب اختيار الشاعر للجبل بالذات ليكون معادلا موضوعيا له.

فالجبل هو رمز للبقاء و الدوام مدى الحياة الدنيا ، و لا يزول إلا عند زوالها لأنه جعل وتدا للأرض وعند زوال الحياة الدنيا سيزول ،كما أن الجبل يتميز بالحيوية والإحساس .35. فهو يقوم بعملية التسبيح كسائر الكائنات (وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن و الطير).36. فالشاعر قد استلهم هذه المعاني الدينية فجعل جبله في صورة شيخ وقور.

كما أنه بارتفاعه يرمز إلى التقدم نحو المعرفة، رقيه حتى قمته يعني التقدم في معرفة الذات .37. و الشاعر قد استعمل عدة ألفاظ للتعبير عن علو وارتفاع الجبل (أرعن، طماح، باذخ ، يطاول)فالشاعر يتوق إلى المعرفة معرفة ما في الغد .

ثم يدخل الشاعر في محاورة مع ذاته المتمثلة في الجبل، حيث يصغى لحديث الجبل و شكواه من الدّهر وقد اختار زمن الليل لهذا الإصغاء.

لان الليل هو زمن السكون والراحة و هو فسحة للذات لاسترجاع ذكرياتها و النظر فيما اقترفته و جرى عليها فيخبر الليل شاعرنا بما مر به من مسافر بالليل أو بالنهار و من مقيل تحت ظله و من مختبئ فيه و ما مر به من ظواهر الطبيعة من رياح و زحمة مياه البحر ، واستقرار شمس وقمر و لكن كل هؤلاء قد طوتهم يد الفناء و الموت و الفناء و المنايا فها هنا يتحدث الشاعر عن واقعه الذي عاشه من خلال الجبل فكما سبق و أن قلنا قد كان أصحابه يموتون الواحد تلو الآخر وهو بإحساسه المرهف كان يتألم لذلك وليس هذا فحسب بل كان يفقد حتى مدينته من خلال الحرب، و هو الذي عشقها وعشق طبيعتها الغناء، فاستولت على قلبه حالة من الحزن والكآبة اثر ذلك فدموعه نزفت لفراق أحبته.

ثم يعود للتساؤل فيتساءل عن زمن انتهاء هذه المحنة التي هو فيها، و زمن انقشاع فجر هذا الليل الذي يعيشه.

ثم يرفع يديه بالدعاء إلى المولى سبحانه أن يكشف عنه هذا الضر بالراحة والرحمة.

ثم يختم قصيدته بأن يقول للجبل إن هذا هو ناموس كون ، فنحن من مقيم وذاهب .

.1. هو ابو عمران بن موسى بن عبد الرحمان بن ابى تليد توفى بشاطبة 517 هـ/1122م
.2. هو ابو بكر محمد ابراهيم بن اسود توفي سنة 536 هـ/1141م
.3. هو ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفضل بن صواب المجري و قد اصبح هذا العالم طبيبا توفي سنة 510هـ/1115م
.4. حمدان حجاجي ، حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974 ص41-
44ومحمد رضوان الداية الأدب العربي في الأندلس و المغرب ص 163.
.5. هو بن الحسان محمد بن ابي طاهر الحسين بن موسى الكاظم ولد سنة 359هـ/970م ببغداد و توفي 406هـ/1016م بن حيان و آثار الشاعر الأندلسي بن خفاجة ص 343.
.6. مهيار ابن مرزوية الديلمي فارسي الأصل ولد سنة 396هـ/1003م و توفي سنة 428هـ/1037م والمرجع نفسه ص344
.7. هو ابو بكر احمد بن احمد الضبي المعروف بالصنوبري توفي سنة 334هـ/945م المرجع نفسه ص 345
.8. حياة وآثار الشاعر الأندلسي بن خفاجة ص 46-47
.9. الأدب العربي في الأندلس و المغرب ص 163.
.10. محمد رضا الداية تاريخ النقد الأدب في الأندلس مؤسسة الرسالة ط2 1981م ص 364
.11. حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ص 56-57
.12. المرجع نفسه ص 331.
.13. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ص364-365
.14. حياة وآثار الشاعر الأندلسي ابن خفاجة ص127 .130 .
.15. المرجع نفسه ص 26-27
.16. الأدب العربي في الأندلس و المغرب ص 181.
.17. سيزا قاسم: دلالات المكان، مجلة آفاق عدد2سنة 1989 عن الأخضر بركة،الريف في الشعر العربي الحديث ، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر ،ط / 2002 ،ص 79 .
.18. ديوان ابن خفاجة، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ،ط/ 1980 ص 36 .
.19. المصدر نفسه ص 117 .
.20. المصدر نفسه ص 151 .
.21. الأدب الأندلسي، موضوعاته و فنونه ص 522 .
.22. هوج الجنائب ، رياح الجنوب الهوجاء، النجائب، واحدتها نجيبة، الناقة الكريمة.
.23. تهادي الغواني : تهاديّ واحدة الى الأخرى، ابتلي،انظر، الغواهب :الظلمات واحدها غيهب.
.24. المصمم : الماضي ، أتود: اخشاب الرحل .
.25. الطلس : الذئب الأمعط وضاح: ابيض، المضاحك، واحدها مضحك:الثغر، قطب :عابس .
.26. رعن: الجبل الطويل ، الغارب :الظهر.
.27. يلوث : يعصب .
.28. تبتل: تنسك .
.29. المدلج : السائر في الليل، المؤوب : الراجع ، قيل : نام القيلولة
.30. سرى : ابعد الهموم .
.31. الطيّة : السفر .
.32. ديوان ابن خفاجة ، ص 32-33-34 .
.33. ريتشارد شلخت: الاغتراب تر، كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط/1980، ص 19، عن الأخضر بركة، الريف في الشعر العربي الحديث ص 6.
.34. الريف في الشعر العربي الحديث - ص 6 .
.35. حبيب مؤنسي، موضوعة الجبل في شعر مفدي زكريا،البصيرة،العدد الخامس،2000م،جامعة سيدي بلعباس ص212 .
.36. سورة الأنبياء ..ية 78 / 79 .
.37. خليل احمد خليل ، معجم المصطلحات و الرموز .

الخـــــاتمـــــة

لقد كان للمكان الأندلسي كبير الأثر في القصيدة الأندلسيـــة فقد عكست لنا القصيدة الأندلسية، عـدة تجليـات للمكـان، ففي وقـت السلم والاستقـرار تجلت لنا الحياة اللاهية التي كان يعيشها الأندلسي عبر أجزاء الطبيعة، فالأشجار تتمايل من السكر، و الأطيار تشدوا ،و الأغصان ترقص ، و الغمام يسقي النباتات خمرا، والأزهار الجميلة حسناوات ... و بالمقابل فقد عكست هذه القصيدة تجليات الحرب و استشعار أوان الرحيـل، فقد نزفـت عيون الأندلسيين ، حيث بدءوا يفقدون مدنهم و تجلـت عبر هذه القصائد كل مخلفات التحضر، التي لم تكن ظاهرة فالتعود على حياة اللهـو والسجون ، أنتجت أشخاص جبنـاء لا يدافعون عن وطنهـم و عرضهم رغم حبهم لوطنهـم.

وهو من خلال الشاعرابن خفاجة تجلت لنا قدرة الشاعر على الامتزاج بالطبيعة بشكل جمالي رائع، و بالتالي استكناهها و تأملها و كشف رموزها، فكما يقول بودلير، الطبيعة هيكل له دعامات حية ، تبث أحيانا أقوالا غامضة و الإنسان يمر فيها عبر غابات من الرموز فترنوا إليه بنظرات عائلية أليفة .1.

---

1. عادل المصطفى دلالة الشكل دار النهضة العربية بيروت ط1 2001،ص 59.

مسرد المصادر و المراجع

المصادر

١- القرآن الكريم. رواية ورش عن نافع

٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الثقافة الجزائر ط/١ - ١٩٩٠

٣- ابن خفاجة، الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر، ط/١٩٨٠

٤-أبو نواس ، ديوان ، دار صادر بيروت ، دت

٥- أحمد أمين الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر ، تح محمد الفاضلي – المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ط٢ ١٩٩٩

٦- البحتري، الديوان دار صابر، بيروت ، دت

٧-بطرس البستاني، محيط ، المحيط، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت ١٩٨٧.

٨-تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان، ط/١٩٨١.

٩-جبور عبد النور، المعجم الأدبي .

١٠- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ط٢

١١- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الفلسفية دار الفكر اللبناني بيروت ط١- ١٩٩٥م

١٢- خليل أحمد خليل معجم الرموز ، دار الفكر اللبناني بيروت ، ط١ -١٩٩٥

١٣- ريتشارد شاخت ، الإغتراب ، تر ، كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط/١٩٨٠ ، نقلا عن الأخضر بركة ، الريف في الشعر العربي الحديث

١٤- عفيف عبد الرحمان، معجم الشعراء، دار المناهل، بيروت لبنان ط١/١٩٩٦م

١٥ - فواز الشعار ، الشعراء العرب ، دار الجيل ،بيروت ط١/١٩٩٩م

١٦ –وجدي وهبة، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان، بيروت ط٢ / ١٩٨٤.

١٧- محمد الأسكندراني ،و نهاد رزوق ، ديوان امرئ القيس، دار الكتاب العربي بيروت ط٢/٢٠٠٢ .

١٨ - محمد التنوجي، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية، لبنان ط ١/ ١٩٩٣م.

١٩- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار ومطابع الشعب دت .

٢٠- المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت. دت

المـــراجـــع

١. إبراهيم رمادي، المدينة في الشعر العربي، دار هومة، بوزريعة الجزائر، ط٢/د ت
٢. ادونيس ، مقدمة للشعر العربي، ط٣، ١٩٧٩ م.
٣. احمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح الىسقوط الخلافة، دار المعارف القاهرة ط٨/١٩٨٢م
٤. الأخضر بركة، الريف في الشعر العربي الحديث ، دار العرب للنشر والتوزيع ط/٢٠٠٢.
٥. اعتدال عثمان ، إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، لبنان ط١/ ١٩٨٨م.
٦. اليا الحاوي ، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ط٤/١٩٧٩م.
٧. يوسف عيد، الشعر الأندلسي وصدى النكبات، دار الفكر العربي، بيروت ط٢/٢٠٠٢.
٨. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف ،القاهرة، د.ت
٩. حسن البنا عز الدين ، الكلمات والأشياء ، دار المناهل بيروت لبنان، ط١ ١٩٨٩
١٠. حمدان حجاجي ،حياة وآثار الشاعر الأندلسي بن خفاجة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر.
١١.عادل مصطفى ، دلالات الشكل ، دار النهضة العربية، بيروت، ط١/٢٠٠١
١٢. عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط/١٩٨٦م
١٣. عبد الرحمان خنفري ،لامية العرب، دار النخلة، الجزائر، ط١/د ت
١٤. عبد الحفيظ بودريم، النص الشعري المعاصر من حضور الوهم الى بلاغة الشهود دار البشائر الجزائر، ط١/٢٠٠٢.
١٥. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة ، بيروت ،لبنان ط٢/١٩٧٦م
١٦-صلاح عيد العودة إلى الأصل ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ،د ت
١٧. فوزي عيسى ، دراسات في الأدب المغربي و الأندلسي، دار المعرفة الجامعية مصر، ط/٢٠٠٠
١٨- محمد رضا الشبيلي ، أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية وأصوله العربية ، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ط٢ بيروت ١٩٨٤ نقلا عن قلادة عقلق دلالة المدينة
١٩. محمد رضوان الداية، الأدب العربي في الأندلس و المغرب ، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٣-١٩٨٤
٢٠. محمد رضوان الداية، النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة، ط٢/١٩٨١
٢١.محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي ،دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ط/١٩٨٤م
٢٢- مصطفى السلعة ،الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين بيروت ط١٩٩٧/٩
٢٣- مصطفى قصيف،حول الأدب الأندلسي ،دار الأشرق ،بيروت ،لبنان، د.ت

الموســـــوعـــــــات:

1. روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العراب و الأجانب ،دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط1992/1.
2. عبد الرحمان بدوي ،الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط1964/1
3. موجـز دائرة المعارف ، مركز الشارقة للابداع الفكري ط1998/1م

• الدوريـــــــــــات:

1. مجلة الأدب و العلوم الانسانية ، العدد 1 أفريل 2002 جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة.
2. المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد 6 ،المجلد 2 /1982 جامعة الكـويت
3. البصيـرة ، العدد 5/ 2000 مؤسسة ابن خلدون للدراسات و البحوث الجزائرية دار الخلدونية .

فهرس المحتويات

	الصفحات
*البسملة	
*الإهداء	
*الشكر	
المقدمة	
المدخل ...	19 ... 7
الفصل الأول: القصيدة الأندلسية والمكان	37 ... 20
أولا: البيئة الأندلسية	27 ... 21
1- الجانب الجغرافي.	21
2- الجانب السياسي.	22
3- الجانب الإجتماعي .	25
ثانيا : تجلي المكان في القصيدة الأندلسية.	35 ... 28
1- شعر الطبيعة.	28
2- شعر رثاء المدن والممالك الزائلة.	31
○ الفصل الثاني:	
- تجليات المكان عند ابن خفاجة.	46 ... 38
أولا: النشأة الأدبية لابن خفاجة.	42 ... 39
1-النشأة والثقافة.	39
2-الموطن والبيئة.	40
3- ملامح شخصية.	40
4- شيخوخته ووفاته.	41
5- ديوانه.	41
ثانيا : تجلي المكان عند ابن خفاجة.	115 ... 42
*الخاتمة.	47
- مسرد المصادر و المراجع.	50 ... 48